وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

– شعبة التاريخ –

دور الفقهاء المالكية في عهد الدول المستقلة 3-5 هـ / 9-11 م

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في التاريخ

تخصص : تاريخ وحضارة المغرب الأوسط

إعداد الطالبين :

– عبد الرحمان دشاش

– نذير بشيري

إشراف الدكتور :

– طاهر بن علي

اللجنة المناقشة المتكونة من :

الإسم واللقب	الجامعة	الصفة
عبد الجليل ملاخ	غرداية	رئيسا
طاهر بن علي	غرداية	مشرفا ومقررا
سليمان بن الصديق	غرداية	ممتحنا

الموسم الجامعي : 1438–1439هـ / 2017–2018م

إهداء

بعد الصلاة والسلام على خير الأنام محمد ابن عبد الله صلى الله عليه واله وسلم

اهدي ثمرة جهدي: الى رمز الحنان والوفاء و التضحية، الى من سهرا على نجاحي في حياتي

الى قدوتي في الحياة الوالدين الكريمين اطال الله في عمرهما.

الى التي سهرت معي لساعات متاخرة و تحملتني طيلة مدة انجاز هذا العمل، الى التي راقبت كل

مراحله. الى زوجتي الغالية حفظها الله.

الى ابنائي الأعزاء ادعو الله ان يحفظهما ويرعاهما و ان يكونا احسن مني

الى كل إخوتي واخواتي وابنا عمهم، كل واحد باسمه.

الى كل افراد عائلة بشيري من قريب او بعيد.

الى اصدقائي وزملائي الى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل

واخص بالذكر شريكي .عبد الرحمن وشاش .

بشيري نذير

شكر وعرفان

قال الله عز وجل: ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم﴾

ان الحمد لله أعاننا وامدنا بالعافية لإتمام هذا العمل ، نحمده و نستعينه

و نستغفره ، و نعوذ بالله من شرور انفسنا سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

فله الحمد على ان هدانا لهذا العمل. واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد ان محمدا عبده و رسوله.

أما بعد:

انه من العرفان بالجميل ان نشكر كل اساتذة الدارج بجامعة غرداية، ونخص بالذكر استاذنا المشرف طاهر بن علي الذي لم يبخل علينا بشيء، فتح لنا مكتبته، ووجهنا و نصحنا، وكان له الفضل الاكبر في اختيار هذا العمل .دون ان ننسى الاستاذ بن الصديق سليمان الذي وقف بجانبنا في الكثير من المرات .وقد استفدنا من علمه وخاصة منهجيا والكترونيا.

في هذا المقام حق علينا ان نتوجه بشكرنا وامتناننا الى الذي فتح لنا بيته وقلبه، وضع مكتبته بين ايدينا، الى الذي كان في كل سنوات استاذا، وخارجها صديقنا في كل الظروف موجهنا، الى الذي يحزن لحزننا ويفرح لفرحنا، الى الذي يفكر في همنا قبل ان يفكر في همه .الى اغلى ما اكتسبنا من الجامعة الى من علمنا وقة المصطلحات نقول اعذرنا فنحن لا نجد المصطلح الذي نعبر لك به عن شكرنا وامتناننا الى اخينا الذي لم تلده امهاتنا :طاهر بن علي (بدون القاب).

بشيري نذير عبد الرحمن وشاش

مقدمة

مقدمة

ارتبط المذهب المالكي بشخصية الإمام مالك بن أنس (ت 179هـ)، بوصفه أحد أركان المذاهب السنية الأربعة. وقد شهد القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) مرحلة التأسيس للمذهب في بلاد المغرب، حيث كانت إفريقية بوابة العبور الأولى عبر عمي بن زياد، الذي أدخل تراث مالك الفقهي للمنطقة، ثم تبلور هذا الحضور عبر سلسلة من الفقهاء المجتهدين الذين نهلوا من معين مدرسة المدينة، سواء بالمشافهة المباشرة للإمام أو بالتلقي عن تلامذته؛ مما أدى إلى ترسيخ المذهب بجهود أعلام من قامة عبد الله بن فروخ، وأسد بن الفرات، وصولاً إلى عبد السلام بن سعيد التنوخي (سحنون)، الذي اقترن اسمه بمرحلة النضج الفقهي في المغرب الإسلامي.

ثم انتقل المذهب إلى المغرب الأوسط، واعتنقه أهله، ونبغ فيه علماء فقهاء، حموا المذهب واجتهدوا في تحصيل علومه أصولا وفروعا واستطاعوا أن يكونوا طبقة مالكية لها موقعها من تراتبية المجتمع، كما لها دورها في تأطير تدينه، وتثقيف حياته. وبرز منهم العديد الذين نافحوا من أجله ودفعوا عن كل المذهبيات والطوائف الأخرى، التي حلت ببلاد المغرب الأوسط، ومنها المذهب الشيعي، الذي كان له الأثر الكبير في تغيير امذهبية الدينية بتأسيسه دولة كانت رائدة في خدمة المذهب الذي تنتمي إليه.

وعلى قدر خطورة هذه الدعوة كانت قوة حركة الفقهاء المالكية الذين دافعوا عن أصولهم الاعتقادية والفقهية العملية، ووقفوا حاجزا أمام تشكيل العقل الديني والفقهي في بلاد المغرب الأوسط تشكيلا إمامياً.

وإلى جانب ذلك كان للفقهاء المالكية دور في الحياة السياسية والاجتماعية على عهد الدول المستقلة ببلاد المغرب الأوسط، وكانت طبقتهم تمثل الحياة الثقافية والعلمية التي يتميز بها المجتمع حينئذ.

من هذا السبيل جاء اختيارنا الموضوع مذكرتنا الذي تستكمل به متطلبات شهادة الماستر والذي اخترنا له العنوان التالي:

دور الفقهاء المالكية في عهد الدول المستقلة بالمغرب الأوسط

5-3هـ/ 11-9م

الإطار الزماني والمكاني:

يعتمد البحث الأكاديمي التاريخي في تحديد الموضوع بالفترة الزمنية والمكانية، ولما كان موضوع هذا البحث هو دور الفقهاء المالكية في عهد الدول المستقلة بالمغرب الأوسط كان لزاما أن يكون إطاره المكاني بلاد المغرب الأوسط بحدوده الحالية (الجزائر المعاصرة)، كما كان إطاره الزماني محددا بعهد هذه الدول، وذلك من القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي) إلى غاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي.

أسباب اختيار الموضوع:

اخترنا موضوع دور الفقهاء المالكية في عهد الدول المستقلة بالمغرب الأوسط للأسباب التالية:

1- لقد استوقفنا ذلك الشح الملحوظ في المتون التاريخية التي تناولت المذهب المالكي وأعلامه في منطقة **المغرب الأوسط**؛ إذ ظل هذا المجال رهين تهميش نسبي إذا ما قورن بالزخم البحثي الذي حظيت به أقاليم الجوار في إفريقية، والمغرب الأقصى، والأندلس.

2- والمتتبع للدراسات التي انصبت على المغرب الأوسط يلحظ استغراقا في بحث الحركات المذهبية "الراديكالية" كالخوارج والشيعة، أو الاكتفاء على التحليلات السياسية والاقتصادية الصرفة، مما غيب الملمح الفقهي المالكي عن المشهد البحثي. ورغم المحاولات الجادة التي قادها الكثير من المستشرقين أو تلك المقاربات المشرقية التي وضعت المنطقة ضمن سياقات تاريخية عامة؛ إلا أن **القراءة المحلية** بقيت غائبة أو خافتة الصوت رغم الكتابات السابقة في هذا المجال.

3- لقد حصر تاريخ هذه المنطقة مذهبيا في زاوية الصراعات الكبرى (الخوارج والشيعة)، أو أُدرج ضمن دراسات مادية حافلة بتناول الأوضاع الاقتصادية والسياسية، مما حجب الرؤية عن الامتداد الأصيل للمدرسة المالكية ورجالاتها. وإذا كان الفضل يعود للمدرسة الاستشراقية (برونشفيك متل الفريد بل وشاخت وموران) وللمؤرخين المشارقة في وضع اللبنات الأولى، إلا أن قراءاتهم بقيت محكومة برؤى خارجية تفتقر أحيانا إلى استيعاب الخصوصية المحلية.

4- يصطدم الباحث في تاريخ المغرب الإسلامي بظاهرة "الانتقائية الدراسية"؛ حيث نال المذهب المالكي في إفريقية والأندلس والمغرب الأقصى نصيب الأسد من التقصي والتحليل، بينما ظل المغرب الأوسط (الجزائر حاليا) يمثل حلقة شبه مفقودة في السردية الفقهية المالكية.

ومن منطلق الانتماء لهذا الفضاء المغربي والحضاري، وجدنا من الواجب العلمي تفعيل مبدأ "أهل مكة أدرى بشعابها" والمساهمة بدراسة تستنطق المادة التاريخية برؤية وطنية ومناهج حديثة، تعيد الاعتبار لفقهاء المغرب الأوسط ودورهم في صياغة الهوية المذهبية للمنطقة، بعيدا عن الرؤى المركزية أو التفسيرات الخارجية".

إشكالية الموضوع:

لا يمضي البحث في الدراسات الأكاديمية إلا إذا اتضحت في ذهن الباحث الإشكالية التي تحدد مجال البحث، وترسم معالم التنقيب فيه، لذلك رأينا أن تكون إشكالية بحثنا التي يمضي عليها في استقراء المادة وبناء المعرفة التاريخية عليه كالتالي:

ما هو الموقف التاريخي الذي اتخذه فقهاء المغرب الأوسط زمن الدول المستقلة، وكيف كان تفاعلهم العلمي و السياسي ؟

ومنها تتفرع الإشكالات الآتية:

- ماضي تاريخية المذهب المالكي في المغرب الأوسط؟
- كيف تشكلت المذهبية المالكية في المغرب الأوسط؟
- ما هي الظروف التي نشأت فيها المذهبية المالكية في المغرب الأوسط؟
- كيف كان دور الفقهاء المالكية في المغرب الأوسط عبر عهد الدول المستقلة سلبيا المستقة سلبيا أم إيجابيا ؟
- أين تبرز جهود الفقهاء المالكية في نشر المذهب المالكي في المغرب الأوسط عبر عهد الدول المستقلة؟
- ما هو موقف الفقهاء من الدعوات الدخيلة الشيعية على الخصوص؟
- كيف كانت طرق الفقهاء المالكية في محاربة التشيع الإسماعيلي؟
- كيف تفاعل فقهاء المغرب الأوسط مع سلطات الدول المستقلة؟
- كيف كانت العلاقة بين فقهاء المغرب الأوسط وحكام الحماديين؟
- هل كانت للفقهاء المالكية عبر عهد الدول المستقلة بالمغرب الأوسط مشاركة في السياسة وما هي المناصب التي شغلوها ؟

- هل يمثل الفقهاء المالكية المظهر الثقافي لبلاد المغرب الاوسط على عهد الدول المستقلة؟
- كيف تفاعلت حواضر المغرب الأوسط على عهد الدول المستقلة مع حركية الفقهاء؟
- كيف نقيم جهود فقهاء المغرب الاوسط على عهد الدول المستقلة؟

خطة البحث:

لابد لكل بحث من خطة تؤطره، وتبين مدى تحكم الباحث في موضوعه بالمنهج الذي ارتاه في معالجته تفسيرا وتحليلا، لذلك تبين لنا من خلال ما جمعنا من مادة، ومن خلال تصورنا للموضوع أن تكون الخطة كالتالي:

الفصل الأول **وعنوانه المغرب الأوسط في ظل المرجعية المالكية**: وقد تناولنا فيه ثلاثة مباحث، أولها: الموقع الجغرافي والأبعاد الحضارية للمغرب الأوسط. ثانيها: الجذور التاريخية والبيئة الحاضنة للمذهب المالكي بالمغرب الأوسط. ثالثها: نماذج من الفقهاء المالكية بالمغرب الأوسط

الفصل الثاني وعنوانه: **المذهب المالكي بالمغرب الأوسط في العهد الفاطمي دراسة في الادوار والتحديات**، وقد قسمناه إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول: البنية السياسية والدينية للمغرب الأوسط خلال العهد الفاطمي. أما المبحث الثاني: مواقف فقهاء المالكية من التشيع الفاطمي. والمبحث الثالث: سياسات الدولة الفاطمية تجاه المالكية وانعكاساتها على المغرب الأوسط.

الفصل الثالث: **المالكية بالمغرب الأوسط في العهد الحمادي ودورهم في ترسيخ المذهب وبناء الدولة**، وهو على ثلاث مباحث، المبحث الأول: بنو حماد والمذهب المالكي: سياق النشأة والتوجه المذهبي. أما المبحث الثاني: المذهب المالكي كدعامة استقرار للدولة الحمادية. أما المبحث الثالث: المالكية والشرعية السياسية في الدولة الحمادية. والرابع: الفقهاء المالكية في حواضر الدولة الحمادي. ثم خاتمة استنتاجية، ذكرنا فيها خلاصة البحث وآفاقه، من أجل أن تتكامل الدراسات في جامعتنا وفي جامعات الوطن. واشتمل البحث على ملاحق لازمة لبيان ما بسطنا من تأريخ وتفسير وتحليل.

أهمية الموضوع:

لموضوع أهمية بالغة في معرفة الحياة الثقافية والدينية في بلاد المغرب الأوسط على عهد الدول المستقلة، كما أنه يؤرخ لمرحلة حاسمة من مراحل الحراك المذهبي الذي شهدته بلاد المغرب الإسلامي عموما، وفيها قام الجدال، واحتدم الصراع بين الكتل المذهبية من سنة وشيعة وخوارج.

وكان للمالكية يمثلون الاتجاه السني برمزية مالك إمام دار الهجرة، ووارث السنة قولا وفعلا كما حملها ورواها وعاشها موروثا ثقافيا أهل المدينة.

ثم إن الموضوع ينبه معرفية في حركة التاريخ للمذهبيات في بلاد المغرب الأوسط، وهو اتجاه جديد في الكتابة التاريخية تبنته الدراسات الأكاديمية المعاصرة.

وهو محاولة لمعرفة النموذج في الموقف المذهبي السني الذي ناضل من أجل وجوده وكينونته في مرحلة صراع مريرة، وكذلك في التأسيس للاتجاه بأصول لم يكتف أصحابها بالتأليف والدراسة فحسب ولكن أردفوا ذلك بالمناظرة والجدال، الذين كان مظهرا معرفيا وموقفا منهجيا وهوية كذلك. كما تتجلى أهميته كذلك في بيان دور الفقهاء في الحياة السياسية، وكيف كانت مواقفهم سلبا وإيجابا، قربا وبعدا من الدوائر السياسية والحكم وخطط الدولة التي تتفاعل مع المجتمع.

المنهج المتبع في كتابة البحث

في مثل هذه الدراسات يعتمد المنهج الوصفي، حيث الدراسة محاولة لمعرفة الأحداث والوقائع التي صنعتها طبقة الفقهاء على عهد الدول المستقلة. كما عمدت الدراسة إلى اعتماد المنهج الاستقرائي الذي يستصحب دوما من أجل استقراء المادة واستنتاج المعرفة منها. وقد تعلمنا من دروس المنهجية أنه لا يمكن الاستغناء بمنهج واحد في الدراسات التاريخية، لذلك تكون المناهج متوافقة على أن يكون أحدها سيدا نظرا لطبيعة الموضوع.

الصعوبات

إن تاريخ الحياة الثقافية عموما وتاريخ الذهنيات خصوصا صعب في مجمله، وقد بين ذلك شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله – رحمه الله – في مواقع كثيرة من مدونته الموسومة بتاريخ الجزائر الثقافي. فالمادة كما حملتها المصادر لا تمنحنا الإحاطة بكل الأحداث، ولا تمنحنا رؤية كاملة للحدث الواحد في خصوصياته الذاتية، أو في عموماته التاريخية.

كما لا يخفى على المؤرخ الحصيف أن مدونات تاريخ المغرب الإسلامي تفيض مادتها ومروياتها بأخبار المغربين الأدنى والأقصى وتشح بأخبار المغرب الأوسط، وهذا لعمري من معضلات البحث التي تكابدها جميعا في تاريخ المغرب الأوسط. ومن هنا يرى الناظر في بحثنا كيف أننا بتوجيهات المشرف التقطنا المادة بعد جهد، ووضعناها في سياقها بعد كد، معتمدين على كل

النصوص التي تناولت المغرب الأوسط ومجتمعه، مثل كتب الجغرافيا، وكتب الطبقات ومصادر المذهبيات.

وغالبا ما تعالج الرواية في ذكر المواقف والحركات وتوصيفها إذا كانت مؤيدة، وتقصر بالمعرفة إن كانت معارضة بن وتشح وتقسم مواردها، حتى ليلتبس على المؤرخ كثير من الأحداث والمواقف والمادة التي جمعناها وإن كانت في عمومها وفيرة إلا أنه يبقى في النفس شيء منها، وهذه مما يكابده المؤرخ في مهنته، كما يقول الدكتور طاهر بن عيسى في كثير من محاضراته، وعنه حفظنا مقولة الدكتور سعد الله – رحمه الله : البحث معاناة.

ثم لابد من ذكر شيء قد يحجم عن قوله كثير من الباحثين، وهو الإقرار بمالكيتنا، وهذا في حد ذاته عائق أمام موضوعية البحث الذي ارتأيناه، وجعلنا المادة تنطق بالتاريخ بدلا من تفسيراتنا وتحليلاتنا ومع ذلك قد تعشي أبصارنا بعض الذاتية التي لا يستطيع المؤرخ التخلص منها تماما.

ومن العوائق أن إطار البحث المتمثل في دور الفقهاء، اقتضى منا فحصا دقيقا للمرويات والنصوص، وهو الأمر الذي أجهدنا في تجاوز العموميات إلى دقة التفاصيل من أجل تحليل المواقف وتأكيد الأدوار التي ساهم بها الفقهاء المالكية ببلاد المغرب.

ثم إن عجزنا عن إيجاد نصوص أجنبية وذلك لضيق المدة المتاحة لنا في إنجاز المذكرة حال دون أشياء كثيرة كان على البحث أن يتحلى بها في مسيرته المعرفية.

الدراسات السابقة

الدراسات التاريخية تراكمية في مجملها، حيث يبني بحث على بحث، وتولد دراسة من دراسة، وعليه لا يمكننا أن نجزم بأننا من سبق في هذا الشأن إلا بما حددناه من إطار للموضوع ومحور للدراسة ، ومن هنا نذكر أن هناك دراسات سابقة تناولت الموضوع في عموم التاريخ، أو في الخصوص المكان والخانة، ومنها نذكر الدراسات الآتية غير حاصرين:

- ✓ نجم الدين الهنتاتي: المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي.
- ✓ عمر الجيدي: محاضرات في المذهب المالكي.
- ✓ داوود محمد أبو العزم: الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين.
- ✓ عبد العزيز بنعبدون: الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية.

- ✓ بوبة مجاني: النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي (296هـ --973/ 909/362)
- ✓ عبد القادر بوعفادة: "المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرنين الثاني والثالث الهجري الثامن و التسع الميلادي.

قراءة في المادة المصدرية المعتمدة في البحث

واعتمدنا في انجاز هذه الدراسة بالدرجة الأولى على المصادر والمراجع حسب ترتيبها.

- **كتب الطبقات والتراجم**

كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك"، للقاضي عياض استفدت منه في نشأة المذهب المالكي وتطوره، من خلال ما يقدمه من تراجم دقيقة ومفصلة لأعلامه، وفي مقدمتهم الإمام مالك بن أنس، مع بيان شيوخهم وتلاميذهم وسلاسلهم العلمية، وهو ما يتيح تتبع السند الفقهي وفهم كيفية انتقال المعرفة داخل المذهب عبر الأجيال، كما يساعد الكتاب في توثيق الأقوال الفقهية ونسبتها إلى أصحابها بدقة، ويكشف عن منهجية العلماء في الاستدلال والاجتهاد، إضافة إلى إبراز أسباب الاختلاف داخل المذهب المالكي وتنوع مدارسه، فضلا عن دوره في إظهار انتشار المذهب في مختلف الأمصار، خاصة في المغرب والأندلس، الأمر الذي يجعله مرجعا أساسيا في بناء الإطار النظري والدراسات التاريخية والتحليلية في البحوث الجامعية، ويسهم في تقوية الملكة الفقهية لدى الباحث من خلال الاطلاع على اجتهادات العلماء ومناهجهم في التعامل مع النصوص الشرعية. لقد مثل هذا المصدر مرجعية أساسية في استجلاء التعددية الفقهية التي ميزت المغرب الأوسط، حيث مكننا من رصد خريطة التيارات المذهبية (مالكية، وحنفية، وشافعية، وظاهرية) التي كانت تتنازع الفضاء العلمي آنذاك. ومن خلاله، تتبعنا مسارات فقهاء المالكية في المغرب الأوسط، مستعرضين دورهم المتنامي في تثبيت أركان المذهب خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين (10-11م)؛ وهي الحقبة التي اتسمت بالتدافع المذهبي الحاد مع الوجود الشيعي المناهض.

كما أتاح لنا الكتاب فهم آليات البقاء والاندثار للمذاهب الوافدة؛ حيث كشف كيف استطاعت المالكية الهيمنة وتجاوز المذاهب الأخرى التي تلاشت رغم برجيل زعامتها العلمية أو لعدم قدرتها على الصمود أمام العمق الاجتماعي للمذهب المالكي. وإضافة إلى ذلك، فقد استثمرنا ما

قدمه المصدر من تراجم مستفيضة للإمام مالك بن أنس، ومتقدمة تلامذته وشيوخه، ورسم حلقة الوصل العلمية التي ربطت المغرب بالمشرق، وكيف انتقلت الأمانة الفقهية عبر الأجيال لتستقر كركيزة أساسية في هوية المنطقة.

كما يأتي كتاب "طبقات علماء إفريقية وتونس" لأبي العرب محمد بن أحمد التميمي (ت 333هـ / 945م) كواحد من أعرق المصادر الأصيلة التي استند إليها بحثنا؛ فهو يمثل الذاكرة الحية لمرحلة التأسيس المذهبي في المنطقة. وتكمن القيمة الاستثنائية لهذا المؤلف في كونه واكب البدايات الأولى لدخول المذهب المالكي وانتشاره في ربوع إفريقية، مقدما لنا مادة خبرية نادرة عن فقهاء القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). ولم يكتف التميمي بتوثيق مدارس القيروان، بل امتدت عنايته لتشمل تراجم أعلام المغرب الأوسط، مما أتاح لنا تتبع خيوط التواصل العلمي والرابط الفقهي بين هذه الحواضر في تلك الحقبة التاريخية المبكرة.

لم تقتصر قاعدتنا المصدرية على المتون المشرقية والمغربية فحسب، بل شكلت كتب التراجم الأندلسية ركيزة جوهرية في استكمال ملامح البحث؛ وقد استنطقنا هذه المصادر لاستخراج المادة الخبرية المتعلقة بفقهاء المغرب الأوسط الذين شدوا الرحال نحو الأندلس؛ حيث كشفت لنا عن حركية علمية نشطة في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) تمثلت في طلب الإجازة والأخذ عن كبار المالكية في قرطبة وغيرها. ومع حلول القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، اتخذت هذه الرحلات طابعا مزدوجا؛ فلم تعد تقتصر على الاستزادة العلمية فحسب، بل أصبحت ملاذا آمنا وفرارا بالدين من الملاحقات الشيعية (الفاطمية) التي ضيقت الخناق على فقهاء المالكية في المغرب الأوسط، مما جعل من الأندلس آنذاك "عمقا استراتيجيا" حفظ للمذهب رجالاته واستمراريته.

كتب التاريخ:

من الكتب التاريخية التي اعتمدت عليها في بحثي موسوعة ابن خلدون (ت 808هـ / 1406م) "ديوان المبتدأ والخبر"؛ ورغم البون الزمني بينه وبين فترة الدراسة، إلا أن قيمته تجلت في الدقة المنهجية لضبط المصطلحات الجغرافية والسياسية. فقد استلهمنا منه التحديد الدقيق لكيان

المغرب الأوسط، لا سيما في ضبطه لحدود المغرب بجعل "كر ملوية" فاصلا طبيعيا وتاريخيا مع المغرب الأقصى.

ولم تقتصر الاستفادة من ابن خلدون على الجانب الجغرافي فحسب، بل امتدت لتشمل سسيولوجيا المنطقة من خلال تفصيله في أصول البربر ومواطن استقرارهم، وتوثيقه للدول والاضطرابات السياسية التي تكثفت وجه المنطقة. أما مذهبيا، فقد قدم لنا ابن خلدون تحليلا رصينا لـ "عبقرية الاختيار"، مفسرا الأسباب السوسيو-ثقافية التي جعلت أهل المغرب يتبنون المذهب المالكي تحديدا دون غيره، وهو ما منح دراستنا بعدا تفسيريا يتجاوز مجرد السرد التاريخي.

أما عن كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي ت 712هـ - 1312م)، "لقد مثل هذا المصدر أداة تحليلية مكنتنا من استقراء واقع المنطقة وفق أبعاد ثلاثة : الجغرافي، والسياسي، والمذهبي .فمن الناحية الجغرافية، كما أتاح لنا تعريفا دقيقا لحواضر المغرب الإسلامي ومدنه المركزية. أما سياسيا، فقد تتبعنا من خلاله خارطة القوى المتعاقبة وتداول السلطة؛ بدءا من دولة الأغالبة التي شملت المغرب الأدنى وأجزاء من المغرب الأوسط، ووصولا إلى الدولة الرستمية التي امتد نفوذها من تيهرت إلى نفوسة والجريد، بالتوازي مع دولة الأدارسة في المغرب الأقصى والأمويين في الأندلس.

كما رصدت الدراسة التحولات الجذرية التي طرأت بظهور الدولة الفاطمية، وما تلاها من انقسامات سياسية أفرزت الدولتين الزيرية والحمادية .ولم يكن هذا الجرد السياسي ليعزل عن السياق الديني؛ إذ سمحت لنا هذه المعطيات باستيعاب خارطة التيارات المذهبية وتفاعلاتها مع تلك النظم الحاكمة، وكيف أثرت التقلبات السياسية في صعود أو انحسار بعض المذاهب في المنطقة.

أما كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير ت 630 هـ - 1238م)، يعد كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت 630 هـ) مرجعا شموليا استثنائيا، تجاوز في قيمته مجرد السرد الحولي للأحداث ليصبح وثيقة تحليلية ترصد بين تقلبات المشرق الإسلامي وتحولات المغرب الأوسط؛ إذ أتاح لنا تتبع المسارات السياسية الكبرى التي احتضنت المذهب المالكي، خاصة في توثيقه الدقيق لمراحل الانتقال الصراعي بين الدولة الفاطمية والدولتين الزيرية والحمادية، وما رافق ذلك من تحولات مذهبية عميقة.

وتكمن أهميته الخاصة في رصده لمنعطفات تاريخية حاسمة، كالهجرة الهلالية وأثرها في تغيير الخريطة الديموغرافية والاجتماعية للمنطقة، فضلاً عن منهجه النقدي في موازنة الروايات وتدقيق الحوادث، مما وفر نتائج بحثنا سياقاً تاريخياً متصلاً يفسر كيفية صمود المذهب المالكي وتجذره في المغرب الأوسط وسط تلك العواصف السياسية والمذهبية المتلاحقة.

- **المصادر الجغرافية وأدب الرحلات**

كتاب "البلدان" لليعقوبي (ت 284هـ/897م) يعد هذا الكتاب من أقدم المصادر الجغرافية الإدارية التي واكبت مرحلة التأسيس المذهبي في المغرب الأوسط خلال القرن الثالث الهجري. وقد استلهمنا منه مادة غزيرة في تحديد التوزيع القبلي والعرقي للمنطقة، وهو أمر جوهري لفهم الحواضر التي شكلت حاضنة أولى لفقهاء المالكية. وتكمن أهميته في دقة وصفه للمدن العسكرية مثل "مسيلة" و"تاهرت"، وتتبعه للمسالك البرية التي ربطت المغرب الأوسط بالمشرق، مما يفسر مسارات التنقل "للرحلة" والكتب الفقهية الأولى مع قوافل الحجاج وطلبة العلم.

أما كتاب "المسالك والممالك" للاصطخري (ت 346هـ/957م) :استفدنا من هذا المصدر في رسم الإطار العام لموقع المغرب الأوسط ضمن هذا الكيان الحضاري الواسع. فبالرغم من ميله للجانب الجغرافي، إلا أن الاصطخري قدم توصيفاً مهماً للمراكز الحضرية الكبرى ومرافقها العامة كالمساجد والأسواق، وهي الفضاءات الحيوية التي كانت تعقد فيها حلقات الدرس المالكي. وقد ساعدنا هذا المصدر في استقراء العلاقة بين الاستقرار التجاري وازدهار النشاط العلمي، حيث يظهر بوضوح أن المدن التي وصفها بالرواج الاقتصادي كانت هي ذاتها التي شهدت نمواً في الحركة الفقهية.

كتاب "صورة الأرض" لابن حوقل (ت 367هـ/977م:) يمثل هذا الكتاب "شهادة عيان حية واستثنائية، لكون المؤلف قد جاب أصقاع المغرب الأوسط بنفسه خلال القرن الرابع الهجري، وهي الفترة التي شهدت تدافعاً مذهبياً حاداً. وتتجلى قيمة ابن حوقل في تقديمه لتفاصيل "سوسيولوجية" حول ميول المذهبية لأهل المدن، واحتكاك المالكية بالتيارات الوافدة. كما وفر لنا وصفاً دقيقاً لمدن ناشئة مثل تلمسان وغيرها، مما سمح لنا بتتبع كيفية تحول هذه الحواضر من مجرد نقاط جغرافية إلى قلاع علمية حصينة ساهمت في ترسيخ المذهب المالكي وصموده.

- كتب الفرق والعقائد

كتاب "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" للأشعري ت 324هـ :تكمن أهمية هذا المصدر في كونه وثيقة معاصرة لفترة المخاض المذهبي العسير الذي عاشته المغرب الأوسط في القرنين الثالث والرابع الهجريين؛ حيث أتاح لنا الكتاب فك رموز الخارطة العقائدية للتيارات التي زاحمت المذهب المالكي في تلك الأونة، وفي مقدمتها فرق الخوارج والشيعة. وقد استفدنا من منهج الأشعري المتسم بالدقة والأمانة في نقل المقالات، لاستيعاب طبيعة "الأطروحات المضادة" التي كان على فقهاء المالكية في حواضر متل تيهرت وطبنة مواجهتها، مما يمنح دراستنا عمقا في فهم الجدل الديني الذي سبق استقرار الهوية السنية في المنطقة.

أما كتاب "الملل والنحل" للشهرستاني (ت 548هـ) اعتمدنا على هذا المؤلف كإطار نظري ومنهجي شامل لتصنيف التيارات الفكرية وتحديد موقع المذهب المالكي ضمن المنظومة السنية الكبرى في مقابل "النحل" الأخرى. وقد أفادنا الشهرستاني في ربط الفروع الفقهية بأصولها العقائدية، مما ساعدنا على تفسير لماذا لم يكن تمسك أهل المغرب الأوسط بمالكيتهم مجرد اختيار لفقه معين، بل كان انحيازا لمنظومة عقلية متكاملة وفرت للمجتمع توازنه أمام المذاهب الراديكالية. كما مكننا الكتاب من فهم الخلفيات الفلسفية للمناظرات التي خاضها أعلام المالكية، وكيف نجحوا في تمثيل "الوسطية" التي جعلت مذهبهم يكتب له البقاء والسيادة.

الدراسات الحديثة

- المراجع:

اعتمدت على كتاب تنبيه الطالب وهو عبارة عن رسالة ماجستير بعنوان المذهب المالكي في المغرب الأوسط –دخوله وانتشاره– للأستاذة سعيدة لوزري والتي مهدت لنا ببحثها الأكاديمي الرصين سبل البحث ومنهجيته؛ فلقد كان لجهدها المبارك ورؤيتها التنظيمية العميقة أبلغ الأثر في تذليل الصعاب المنهجية أمامنا خاصة في الرجوع إلى المصادر والمراجع، حيث استنار بحثنا بفضل تقسيماتها الدقيقة وطرحها العلمي المتميز، مما جعل من عملها مرجعا ملهما لا يقتصر نفعه على مادته العلمية فحسب، بل يمتد ليكون نموذجا يحتذى به في الدقة والترتيب.

وعلى صعيد استقراء التجربة الرستمية وأثرها في الخارطة المذهبية للمغرب الأوسط، اعتمدت في هذه الدراسة على جملة من المراجع النوعية التي قاربت هذا الإرث برؤية تحليلية رصينة؛ وفي مقدمتها دراسة إبراهيم بحاز الموسومة بـ الدولة الرستمية؛ وأطروحة محمود إسماعيل حول الخوارج في بلاد المغرب. وقد مكنتنا هذه المتون من استنباط طبيعة العلاقة الجدلية والتفاعلية بين المذهبين المالكي و الإباضي، مبرزة أنموذجا حضاريا لـ التعددية العقدية التي سادت المنطقة؛ حيث كشفت المعطيات التاريخية عن مناخ سياسي اتسم بمرونة فائقة وقدرة عالية على تكريس التعايش السلمي بين مختلف الأصناف الفكرية، من مالكية وشيعة ومعتزلة وإباضية، مما جعل من المغرب الأوسط آنذاك فضاء رحبا للحوار المذهبي المتسامح والتقبل المتبادل للآخر.

- **الندوات واللقاءات الفكرية:**

وقد تمّ تعضيد المادة العلمية للبحث بالاستفادة من مخرجات **المحافل والندوات العلمية المتخصصة** التي شكلت فضاء حواريا لمدارسة الفكر المالكي، وفي طليعتها الملتقيات التي ترعاها **وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر**، كالملتقى الوطني للمذهب المالكي بولاية عين الدفلة، فضلا عن الزخم المعرفي الذي وفرته **ملتقيات الحواضر المغاربية**؛ وقد مكنتنا أعمال هذه **المنتديات الأكاديمية** من مراجعة أحدث المقاربات النقدية؛ واستحضار التراكم المعرفي حول أعلام المذهب ومنجزاتهم الفقهية، مما أضفى على الدراسة بعدا تحليليا يربط بين الأصول التراثية والنقاشات العلمية المعاصرة.

الفصل الأول :

المغرب الأوسط في ظل المرجعية المالكية

أولا: الموقع الجغرافي والأبعاد الحضارية للمغرب الأوسط

ثانيا: الجذور التاريخية والبيئة الحاضنة للمذهب المالكي

بالمغرب الأوسط

ثالثا: نماذج من الفقهاء المالكية بالمغرب الأوسط

تمهيد:

حظيت بلاد المغرب بعناية فائقة في مدونات الجغرافيين المسلمين، الذين عكفوا على توصيف أقاليمها وتحديد مسالكها وممالكها بدقة علمية واضحة. وبالاستناد إلى تلك المادة الجغرافية، يمكن حصر المجال الحيوي لبلاد المغرب بكونه يمتد من برقة شرقا وصولا إلى شواطئ المحيط الأطلسي غربا، ومن البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم) شمالا إلى تخوم أرض السودان جنوبا، مع الإشارة إلى أن هذا النطاق الجغرافي اتسع في فترات القوة والازدهار الحضاري ليشمل جميع بلاد المغرب[1].

أولا: الموقع الجغرافي والأبعاد الحضارية للمغرب الأوسط

كان اليعقوبي (ت 284هـ-897م)، وابن خرداذبة (ت 300هـ-912م)، من أوائل الجغرافيين الذين وصفوا بلاد المغرب، فقد قام الأخير برسم المسافات التي تفصل بين منطقة وأخرى والمسالك التي يجب إتباعها للانتقال من مكان إلى آخر، كما بينا أهم سكان المغرب[2]، والقبائل التي تسكنه[3]، ووهران، ونكور، وسبتة، ثم وازيلي. ويرسم حدود المغرب بدقة حيث كما تحدثنا عن

---

[1] ياقوت بن عبد الله ت 626-228م: **معجم البلدان**، ط3، دار صادر، بيروت، 2007م، ج1، ص228 ؛ج5، ص101؛ بشير جهيون وكاتب مراكشي 6هـ-12م، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشره وترجمه قسما منه إلى الفرنسية سعد زغلول عبد الحميد إعداد الفهارس مركز معهد تاريخ وتعريب المغرب، جمهورية تونس الإتحادية، 1418هـ-1997م، فاس أ، ص176؛ بشير الجهيون (شهاب الدين أبي عبد الله) بشير، معجمة توزي، **تنبيه الطالب والمذهب المالكي في المغرب الأوسط –دخوله وانتشاره– 3(–5هـ/9–11م)**، مذكرة نيل شهادة الماجستير في تاريخ وسيط، الطرف مذكورة صفية سلوي بن عمروش، ط1، 1436هـ-2015م، ص23.وانظر أيضا: G. Yver, Art. "**Al-Maghreb**" dans Encyclopédie de l'Islam, Leiden, Ej. Brill, nouvelle edition, T.V, Paris, 1986, P 1173-1174.

[2] ياقوت حموي، مصدر سابق، ص 104.

[3] لاصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي، ت 340هـ-957م): **المسالك والممالك**، ج، دي، خويه، بمساعدات فواد سزكين، جامعة فرانكفورت، جمهورية ألمانيا الاتحادية، 1413هـ-1992م، ص44. ابن حوقل (أبو قاسم محمد النصيبي، ت بعد 367هـ-977م)، صورة الأرض، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص 91. الإدريسي (عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس ت ق. 6هـ-12م)، **المغرب العربي من نزهة المشتاق**، حققه وترجمه إلى الفرنسية محمد حاج صادق، ديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، 1983م، ص72-73. موسى لقبال، **دور كتامة في تاريخ الخلافة**

حكام بعض مناطقه[1]، إلا أنهما لم يتعرضا إلى حدود المغرب وامتداده[2].

وحسب ما أورده الاصطخري وابن حوقل، فإن التوزع القبلي في المغرب الأوسط ارتبط بمجالات جغرافية محددة؛ فكانت نواحي تاهرت موطنا لزناتة، بينما تركزت قبائل كتامة في نواحي سطيف وجيجل، وهو التوزيع الذي لعب دورا محوريا في تشكيل الخارطة المذهبية والسياسية للمنطقة، كما هو الشأن في دور كتامة في التمكين للخلافة الفاطمية لاحقا.[3]

تتجلى معالم الفضاء الجغرافي للمغرب الإسلامي في مدونات ابن حوقل والإصطخري بوصفه إقليما محوريا يمتد بجناحين على ضفاف المتوسط؛ حيث يمتد نطاقه الغربي من مصر وبرقة وصولا إلى إفريقية[4]، ... حتى سبتة وطنجة اللتان تعدان الرأس الغربي لبلاد المغرب والنقطة الأشد حيوية في جغرافيتها؛ حيث ينتهي عندهما الساحل المتوسطي لتبدأ حدود المحيط الأطلسي، وهو ما جعل منهما صلة الوصل الطبيعية والأقرب إلى شبه الجزيرة الأيبيرية.

وقد وصفهما الجغرافيون المسلمون كبوابتين لا ينفصل فيهما اتصال المغرب عن امتداده الأندلسي، حيث تعد سبتة بموقعها المتوسطي الحصين وطنجة بمرفئها العريق مراكز ارتكاز عسكري وتجاري؛ ومنهما انطلقت جيوش الفتح وحركات التبادل العلمي؛ وبواسطتهما ضبطت حدود "المغرب الأقصى" التي تتماس مع "المغرب الأوسط" عبر مسالك ساحلية تضمن وحدة النسيج الجغرافي

الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص58 وما بعدها.

[1] اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، ت 284هـ/898م): البلدان، دار إحياء التراث العربي، تح محمد صادق آل بحر العلوم، النجف، 1958م، ص103؛ وانظر: ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت 272هـ/885م): المسالك والممالك، تح محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ/1988م، ص81-82.

[2] سعيدة لزرق، المرجع السابق، ص25.

[3] المسالك والممالك، المصدر السابق، ص30.

[4] تكرر عند البكري (عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمر أبو عبيد، 487هـ/1094م): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك، فاليا ورفاقه، الجزائر، 1857م، ص21. عيون المصدر السابق، ص111-112).

والمذهبي للمنطقة برمتها". أما الجهة الشرقية فهي بلاد الروم ويضم إليها الأندلس..."، وهذا التعريف يلتقي مع ما ذكره الإصطخري وفي موضع آخر قال: "... أما الأندلس فهي جزيرة تتصل بالبر الأصغر من جهة جليقية[1] وافرنجة وهي في جملة المغرب". وتقابلها من الجهة الغربية تونس، وطبرقة وحزاز بني مزغنة[2] وتنس[3]، ووهران، وتكور، وسبتة، ثم وازيلي[4]: ويرسم حدود المغرب بدقة حيث يقول: "وحده من مصر الإسكندرية على النيل وأرض الصعيد حتى يقضي على ظهر الواحات إلى برية تنتهي إلى أرض الدولة أخذ إلى البحر المحيط وممتدا إلى حقيقة المغرب بنواحي ارض غانه وأرض أودغست، ثم يستمر عائطا إلى الشمال مارا على بلاد برغواطة ومماسة إلى فوهة بحر الروم (مضيق جبل طارق)، الذي يأخذ من بحر المحيط بين أرض طنجة وأرض الأندلس، وراجعا حاده من أرض طنجة على البحر إلى نواحي تنس وإلى تونس والمهدية[5]، من أرض إفريقية وأخرى[6].

---

[1] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص157.

[2] المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الحنفي المعروف بالبشاري، ت387هـ-997م): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ-1987م، ص63) وهو وصف: الجزائر بني مزغنة (عند ابن حوقل: المصدر السابق، ص65). ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن ت 808هـ-405م)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، دار الفكر، 1421هـ/2000م، ج6، ص128)؛ (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، كان حيا 532هـ-1137م): **كتاب الجغرافية**، تح حاج صادق، دمشق، 1968م، ص107.

[3] وصفها البكري في كتابه «فتنتان وتنس» بأنها مدينة مسورة وحصينة، بعيدة عن البحر حوالي ميلين، وتتميز بوجود قلعة منيعة صعبة المرتقى وخصبة، يسكنها العساكر حصانتها، بالإضافة إلى احتوائها على مسجد جامع وأسواق كثيرة. في سنة 245هـ الموافق عام 859م، وقعت بها واقعة عظيمة، حيث ثار بها أمير وقتل بها من العرب نحو ثلاثين في البحر. البكري، المصدر السابق، ص ص 10-11). ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص48. حسن حمد حجي، **أوصاف الجزائر في كتابة أبي عبيد الله البكري**، ضمن مشاريع بحثية لبحث في تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، مجلد مخطوط، مسجلات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2007، ص251.

[4] سعيدة بورزق، المرجع السابق، ص20.

[5] تعتبر مدينة المهدية، كما وصفها الجغرافيون العرب القدامى وعلى رأسهم الشريف الإدريسي، في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، واحدة من أبرز المواقع الساحلية في المغرب الأدنى (تونس الحالية) خلال العصر الوسيط. وقد تميزت بكونها مدينة اصطناعية أسسها الخليفة الإدريسي. المصدر السابق، ص121.

[6] سعيدة بورزق، المرجع السابق، ص27.

وفي سياق تنظيمي مغاير، وضع المقدسي (ت 380هـ) تقسيما هندسيا لبلاد المغرب، حيث شبه تركيبته الجغرافية بأقلم المشرق من حيث اتساع الأرجاء[1]. "... أول كورة من قبل مصر برقة ثم إفريقية ثم تاهرت[2] ثم سجلماسة ثم فاس ثم السوس الأقصى ثم جزيرة صقلية والأندلس وراء البحر على أرض الروم..."[3]، لكنه لم يدخل الأندلس، كما تميز المقدسي عن الجغرافيين الذين سبقوه بذكر أهم مدن بلاد المغرب[4].

ويستعمل الجغرافي الأندلسي أبو عبيد البكري (ت 487هـ-1094م)، مصطلح إفريقية مرادفا لمصطلح المغرب، ويذكر امتداده وحدوده: فقد جعل طول إفريقية من برقة شرقا إلى ضفة المحيط غربا وعرضها من البحر المتوسط إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان، وتتكون من جبال ورمال عظيمة متصلة من المغرب إلى المشرق[5].

وعلى الرغم من تعدد الرؤى الوصفية لدى الجغرافيين والرحالة المسلمين، إلا أنه يلاحظ عدم وجود اختلاف جوهري في رسم المعالم الكبرى لحدود بلاد المغرب؛ إذ أجمعوا في مجملهم على تشكيل حاضرة موحدة تكتسب هويتها من ثبات المحاور الأربعة. فظل البحر المتوسط شمالا والصحراء الكبرى جنوبا، وبرقة شرقا والمحيط الأطلسي غربا، هي المحددات الثابتة التي أطرت هذا الإقليم حضاريا وجغرافيا. وإن ما قد يبدو من تباين في بعض الاختلاف لا يعدو كونه اختلافا في التقسيمات

---

[1] المقدسي، المصدر السابق، ص18.

[2] تيهرت تاهرت مكانة متميزة في جغرافية المغرب الأوسط، حيث تحدث بكري عن المغرب "كناية عن زهد الخوارج وتركيزها نسبة؛ وهي خالف من مدينتي إقامة وتحدثا بمكانة تيهرت الإسلامية في المنطقة". البكري، المصدر السابق، ص123.

[3] بن باوت محمد، **الدولة الرستمية أصحاب تاهرت**، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج5، العدد 1-2، 1377هـ-1957م، ص126.

[4] سعيدة لورغي، مرجع نفسه، ص27.

[5] نفسه، ص27. ينظر: Golvin (L) **Le megrib central a l'époque des Zirides**, Gouvenement general de l'Algérie sous-direction des beaux-arts missions archéologiques, Paris, 1957, p 143.

الإدارية أو "المسميات الجهوية" للأقاليم الداخلية (كالمغرب الأدنى والأوسط والأقصى)، وهي تباينات فرضتها التحولات السياسية وتعاقب الدول، دون أن تمس جوهر الوحدة الجغرافية الشاملة لبلاد المغرب بوصفه كلا لا يتجزأ في الوعي الجغرافي الإسلامي.

ويبدو أنه لا يوجد اختلاف كبير في تعريف الجغرافيين للمغرب، فقد قسموا هذه البلاد عموما إلى ثلاثة مناطق: إفريقية، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى، أما إفريقية فتمتد من برقة شرقا إلى بجاية[1] غربا. وهناك من يجعلها تنتهي من بجعتها تنتهي عند مدينة مبانة. وأول مدنها طرابلس على ساحل البحر أما عرضها فمن البحر المتوسط إلى الصحراء التي تمتد بين بلاد إفريقية وبلاد السودان[2].

وإلى المغرب من إفريقية يقع المغرب الأوسط مجال هذه الدراسة. فهذا المصطلح لم يكن معروف استعماله عند اليعقوبي الذي زار بلاد المغرب في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، وهو حديث السن فكان يتقصى أخبار البلدان، المسافات بين منطقة وأخرى، ويدون كل المعلومات التي يتأكد من صحة مصدرها[3]. وكذلك فعل ابن حوقل الذي عاش في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وتجول في المغرب والأندلس، وفي القرن الخامس الهجري ظهر مصطلح المغرب الأوسط لأول مرة عند البكري الذي كتب في حديثه عن موقع مدينة تلمسان[4]... وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط... وهي مملكة زناتة ومتوسطة قبائل البربر..."[5]، وذكر الحصون التي بساحل المدينة وما

---

[1] بجاية: حاضرة ساحلية أزلية، تضرب جذورها في أعماق التاريخ، وقد اكتسبت فيها الحضاري بكونها مركز استقطاب لأهل الأندلس الذين استقر عليها صفة علمية وعمرانية متميزة. تقع بجاية موقع متوسطي على ضفة البحر المتوسط، عشر السابق، ص 38. البكري، المصدر السابق، ص82.

[2] سعيد دوزي، مرجع سابق، ص ص27-28.

[3] نفسه، ص28.

[4] بن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، ت 712هـ-1312م: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح وتعر. من كولان، وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت 1983، ج1، ص201.

[5] بن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن ملامس، ت 367هـ-977م: **افتتاح الأندلس**، تح إبراهيم الأبياري، مؤسسة سجل العربي للكتاب، مصر، 1989م، ص41.

يتصل بها جنوبا، دون أن يتعرض لمدن المغرب الأوسط الأخرى. عكس الإدريسي، الذي ذكر عددا كبيرا منها حيث كتب "وقبه من بلاد المغرب الأوسط تنس ويرشك[1] وجزاير بني مرغنا،

وتدلس[2]، وبجاية وجيجل[3]، ومليانة[4]، والقلعة[5]، والمسيلة[6]، والغدير[7]، ومقرة[8] ونقاوس[9].

بالإضافة إلى طبنة[10]، والقسنطينة[11]، وتيار ملوى[12]، ومبلة[13].

كما ذكر الإدريسي في موضع آخر أن بجاية في وقته (أي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) "مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد والسفن إليها مقبلة... وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء، وتجار المشرق..."[14]، فبجاية كانت حاضرة المغرب الأوسط ووصلت

---

[1] هي مدينة قريبة من مدينة شرشال، ينظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص130.

[2] بينها وبين مرسى الدجاج أربعة وعشرون ميلا (سفر: الإدريسي، المصدر السابق، ص115-130).

[3] مدينة قديمة على ساحل البحر، يوجد بها جبل كتامة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص190.

[4] تقع شرقي وهران في قرية وعيطة بلاد الشهر، وأهلها يعرفها بزيوت. ابن حوقل، المصدر السابق، ص89. البكري، نفس المصدر، ص60-61. الإدريسي، المصدر السابق، ص100-107.

[5] **قلعة بني حماد** تسمية الأمير **الأمير** المعلم الحسين بني قامت عليه أركان الدولة حماد في المغرب الأوسط، وقد اختط مدينتها حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي في حدود سنة **370هـ** (**980م**). الحموي، معجم البلدان، ج4، ص72.

[6] **حد مدينة المسيلة** من أهم حواضر إفريقية الزاب، وهي تابعة لبني وضع أسس المدينة القاسم **أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله المهدي عام 313هـ (925م)**.ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص130.

[7] مدينة قرب مدينة قسنطينة. الإدريسي، المصدر السابق، ص117.

[8] تقع في منطقة الزاب بالقرب من المسيلة. اليعقوبي، المصدر السابق، ص108.

[9] مدينة بها عمارة عظيمة، تقع بالقرب من مدينة وادي كبيرة الجزائر والأهر(جيجل). المصدر السابق، ص172.

[10] من مدن الزاب، حافظ من الأحداث الغرب وحواضرها. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص21.

[11] هي مدينة قديمة، عاصمة لبني بلاد بإفريقية أبو الفداء، المصدر السابق، ص139.

[12] مدينة عامرة وأسواقها قائمة ومكانها حافظ. الإدريسي، المصدر السابق، ص120.

[13] تقع من قرب قسنطينة. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص244.

[14] **أوصاف الجزائر في كتابة أبي عبد الله البكري**، ضمن أعمال ملتقى وطني نظمت في تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات مركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م الجزائر، 2007م، ص251.

بني ذرودة الأزهار كونها قلعة بني حماد التي كانت مقصدا للتجار من كل الأقطار مغربا ومشرقا، وهو ما نتج عنه تبادل الأفكار وتنوع في الثقافات[1].

وحدد السلاوي موقع المغرب الأوسط بقوله: "... من وادي مجمع وهو في نصف الطريق، بين مدينة ملبانة ومدينة تلمسان (شرقا) إلى بلاد تازا (غربا)؛ ... ومن البحر (المتوسط)... في البلاد الساحلية، مثل مدينة وهران[2] وملبانة وغيرها (شمالا)... إلى مدينة تنزل (جنوبا)... وهي مدينة واقعة في أول الصحراء على الطريق الرابط بين سجلماسة ووارقلان وغيرها[3].

شهدت حدود بلاد المغرب الوسط حالة عدم استقرار خلال العصر الوسيط، نتيجة تداخل عدة عوامل، ومن بينها تعدد الكيانات السياسية التي تعاقبت المنطقة كلها، كما أنّ طبيعة السكان فيه خاصة بربر زناتة وبطونها "لأن "بلاد المغرب بلاد زناتة"[4]كان له الأثر العميق في هذه المشكلة[5].

ولا يجب أن نغفل على الصراع السني الشيعي برعامة الفاطميين أدى إلى تقلص وتمدد الحدود بين الفينة والأخرى، إلى جانب تحركات القبائل البربرية بعد دخول قبائل بني هلال وبني سليم والتي كان لها الأثر الكبير في البنية السياسية والاجتماعية، فضلا عن ضعف السلطة المركزية وعجزها عن ضبط الأطراف، وتدخل القوى المجاورة، وهوماجعل حدود المنطقة في تغير مستمر وغير مستقر[6].

---

[1] سعيدة لوزري، مرجع نفسه، ص31.

[2] "حد مدينة بجاية من أبرز جوامع الساحلية إلى الشمال وحد مدينة مع شبه الجزيرة الأيبيرية. ويعود الفضل في تأسيسها إلى الحماد الصنهاجي بن حمدي المسيلي، حيث بناها سنة ثمانية مقابلة مدينة تنزة الأندلسية. كما تعتبر حلقة وصل إلى عام 289هـ (902م) يعتبر قد مجموعة من البحارة الأندلسيين برعامة محمد بن أبي عون وتحديد من عبدون". ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص385-386.

[3] سعيدة لوزري، مرجع نفسه، ص32.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص154.

[5] محمد حجي، المرجع نفسه، ص243.

[6] نفسه، ص244.

كما شهدت حدود بلاد المغرب في هذه الحقبة حالة من السيولة الجغرافية وعدم الاستقرار السياسي؛ إذ لم تكن الخطوط الفاصلة بين الأقاليم المغربية ثابتة بالمعنى الإداري الحديث، بل كانت "خطوطاً مرنة" تتسع وتضيق تبعاً لنفوذ القوى المتصارعة. فقد أدى الصدام المستمر بين الخلافة العباسية والحركات المذهبية (كالإباضية والصفرية)، ثم لاحقاً التنافس بين الدولة الرستمية والأغالبة والأدارسة، إلى جعل المناطق الحدودية —لا سيما في الزاب وتاهرت— مناطق نزاع دائم. وكانت الولايات القبلية المتقلبة تساهم في إعادة رسم هذه الحدود؛ فمدينة مثل "بجاية" أو "المسيلة" قد تُحسب تارة على إقليم إفريقية وتارة أخرى كقلب للمغرب الأوسط، مما جعل الجغرافيا السياسية للمنطقة في حالة مخاض دائم حتى استقرت معالم الدول المستقلة.

ثانيا: الجذور التاريخية والبيئة الحاضنة للمذهب المالكي بالمغرب الأوسط.

شكلت معركة تاورغا عام 144هـ (761م) منعطفاً حاسماً في تاريخ الحركات السياسية بالمغرب الإسلامي؛ فبعد الهزيمة القاسية التي مني بها إمام الإباضية أبي الخطاب[1]، (141-144هـ/758-761م)—أحد حملة العلم الخمسة— أمام زحف الجيوش العباسية بقيادة والي العباسيين محمد بن الأشعث[2]، انفرط عقد الإمامة في القيروان. وفي ظل هذه الملاحقة العباسية

---

[1] هو أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليحصبي الحميري أبي فقد انفك الإباضي من مرحلة "الكمون" في المشرق إلى مرحلة "الظهور" في المغرب، فهو أحد حملة العلم الخمسة الذين هبوا لنجدة الدعوة بالمشرق بعد وفاة الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (انظر: ابن الصغير، أبو زكريا يحيى بن بكير، ت.القرن 3هـ. أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتقديم وتعليق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1421هـ/2000م، ص242-243. أبو زكريا (يحيى بن أبي بكر): كتاب السير المعروف بتاريخ أبي زكريا، تح إسماعيل العربي، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص57 وما بعدها من عدة صفحات. الشماخي (أبو العباس أحمد بن سعيد ت 928هـ/1522م): كتاب السير، سير أئمة عمان، تراجم علماء المغرب إلى نهاية المائة 5هـ/10م، تح ودراسة محمد حسن، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1993م، ص23-24.

[2] محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي من كبار القادة العسكريين ورجالات الدولة العباسية، تولى ولاية إفريقية في عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، إذ جمع له الخليفة بين ولاية الصلاة والخراج في مصر بعد عزل موسى بن كعب التميمي. وقد اشتهر بشهامته وشجاعته الكبرى وبعثه على رأس جيش ضخم إلى بلاد المغرب-بني مغراوة وإخوان الدين أبي الخامس ومنصف (أتباعه). انظر ترجمته في مؤلف

المكتفة لقبائل الإباضية، اختار عبد الرحمن بن رستم —الذي جمع بين الأصالة الفارسية والنشأة القيروانية والتكوين العلمي في بصرة المشرق— إلى التروح غربا نحو عمق المغرب الأوسط. وهناك، التفت حوله القبائل الإباضية الناقمة على الحكم العباسي، ليضع اللبنات الأولى للدولة الرستمية في تاهرت، محولا إياها من مجرد ملجأ للفارين إلى عاصمة سياسية وفكرية نافست حواضر المشرق، وجسدت فكر مدرسة جابر بن زيد وأبو عبيدة مسلم على أرض الواقع بعد هزيمة الإباضي بالمغرب من طرابلس. فر خليفته على القيروان عبد الرحمن بن رستم[1] (161-170هـ/777-788م)، إلى المغرب فاجتمعت إليه الإباضية[2].

بعد استقرار الرأي على ضرورة إيجاد مركز سياسي يجمع شتات الإباضية في المغرب الأوسط، اتجه التفكير نحو بناء مدينة تاهرت؛ تلك الحاضرة التي بلغت من الرقي والازدهار ما جعل المقدسي يلقبها بـ "بلخ المغرب"، تشبيها لها بحواضر المشرق العظيمة.

تميزت تاهرت بتركيبة قبلية شديدة التنوع، حيث ضمت كتوريات القبائل البربرية مثل :سدراتة، ومزاتة، وزناتة، ومكناسة، وهوارة، ونفوسة وغيرها. ورغم هذا التباين القبلي وعدم اعتناق جميع هذه المكونات للمذهب الإباضي في بداية الأمر، إلا أن عبقرية الاختيار السياسي تجلت في تنصيب عبد الرحمن بن رستم إماما؛ فقد اجتمعت فيه خصال الفضل والعلم كونه أحد "حملة العلم الخمسة"، فضلا عن كونه رجلا "فارسيا" لا قبيلة له تمنعه أو تنصره بالباطل إذا جار، مما جعل منه شخصية

مصر والمغرب، قام وعلق عليه: محمد محمد أمين، راجعه: حسن أمين، دار مكتبة التعليم، بيروت، 1411هـ-1992م، ص438. ينظر: سعيدة بوزيني، المرجع السابق، ص03.

[1] أبو عبد الرحمن بن رستم (ت171هـ): مؤسس أسرة الرستميين، اختلف المؤرخون في أصلها بين أصل فارسي يجعل منه أكاسرة الفرس، وأصل أندلسي ينتمي بالعرق إلى العقد الأول من القرن الثاني الهجري، يرجح بعضهم أنه تزوج مغربية من القيروان، وفي هذه الحاضرة وهب نسبه لأبي عبيدة مسلم، وتقلد مكانة علمية، عين واليا وقاضيا على القيروان في عهد ولاية أبي الخطاب المعافري، وبعد انكسار الإباضية في معركة نهر وادي، لجأ بنفسه نحو المغرب حيث توج بالإمامة عام 161هـ، ليؤسس في تاهرت دولة استمر حكمها واحدا وثمانين سنة مزدهرة فكريا وتجاريا حتى وفاته، تاركا وراءه إرثا سياسيا اتسم بالحكمة بتسجيله لعقود المبايعة. ينظر: الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد، ت 670هـ-1271م)، الطبقات، مع ترجمة الدرجيني، الجزائر، 1974م، ص81-82.

[2] سعيدة بوزيني، المرجع السابق، ص04.

توافقية تضمن توازن القوى بين القبائل متنافسة وتمنع الاستبداد القبلي من طريق العدل، لهذه الأسباب فبايعوه على إقامة كتاب الله وسنة رسوله، واتباع آثار الصحابة الراشدين –رضوان الله عليهم– فقبل البايعة، وتولى الإمامة فيما بين 160-162هـ/776-782م[1].

كما يعتبر أول إمام مرحلة الظهور بالمغرب الأوسط[2]، فبدأت وفود من القبائل المجاورة تحط رحالها في تاهرت، لما وجدته عند الإمام عبد الرحمن بن رستم من التسامح والتعايش السلمي الذي انفردت به تاهرت خاصة وأنها كانت مبيئة مختلف المذاهب والقبائل، حيث قال عنها المقدسي: "التعش فيها الغريب واستطابها اللبيب"[3].

لم تكن الدولة الرستمية مجرد كيان مذهبي مغلق، بل كانت تجسيدا لسياسة الانفتاح والتعايش التي أرسى دعائمها عبد الرحمن بن رستم. فقد تسم فجعه بمرونة فكرية قل نظيرها في العصر الوسيط؛ حيث سمح لمختلف التيارات والمذاهب الإسلامية (من مالكية، ومعتزلة، وشيعة، وصفرية) بالاستقرار في تاهرت وممارسة شعائرهم ونشاطاتهم العلمية بكل حرية، ولم يقتصر هذا التسامح على المسلمين فحسب، بل شمل أهل الذمة من المسيحيين واليهود الذين وجدوا في تاهرت ملاذا آمنا لممارسة التجارة والعيش الكريم.

ويرجع هذا التعايش إلى فلسفة ابن رستم السياسية التي آمنت بالمساواة ورفضت الاستعلاء العرقي أو المذهبي؛ فكانت تاهرت تعرف بـ "مدينة الغرباء"، حيث يختلط فيها التعدد المذهبي ويقدم فيها العلم والفضل على العصبية. هذا المناخ المتسامح هو الذي مهد الأرضية لاحقا لنمو المذاهب

---

[1] سعيدة لوزوي، مرجع نفسه، ص95.

[2] أبو زكريا المزوري أبو إسحاق إبراهيم بن قاسم ت (420هـ-1029م)، تاريخ إفريقية والمغرب، تر وتع وتع تاكمرت: محمد ناصر، محمد ناصر، ط1، دار الغرب للنشر والتوزيع، 1414هـ-1994م، ص101. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج1، ص48. يحي بن أبي بكر، كتاب السير المعروف بتاريخ أبي زكريا، تح جماعي لعربي، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص153. موسى بلعباس، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القيروان حتى انتهاء ثورات الخوارج، ط1، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، المغرب الإسلامي، ص158م.

[3] المقدسي، المصدر نفسه، ص189.

المالكي وتغلغله الهادئ في المنطقة، إذ لم يجد أتباعه تضييقا من السلطة الرسمية، بل وجدوا بيئة خصبة لمحور الفقهي والمناظرة العلمية الرصينة.

لم تكن تاهرت على الغالبية الإباضية، بل شكلت الحاضرة ومحيطها فضاء مفتوحا استوعب تنوعا مذهبيا لافتا، كان من أبرزه حضور المعتزلة والواصلية ،ورغم أن انتشارهم في عموم المغربين الأوسط والأقصى كان محدودا مقارنة بمكتلات الصفرية في سجلماسة، إلا أن مجمع الواصلية القريب من تاهرت مثل نقلا بشريا وفكريا لا يستهان به، هذا الوجود المكثف للواصلية بجوار عاصمة الرستميين يعكس حالة التسامح التي طبعت الدولة، حيث سمح هذه الفرقة التي قامت على أفكار واصل بن عطاء ومبدأ "المنزلة بين المنزلتين" بممارسة نشاطها العقدي والاجتماعي، مما جعل من ضواحي تاهرت بقعة تماس فكري ساهمت في إثراء الحراك العلمي والمناظرات الكلامية في المغرب الأوسط الطاهرتي[1].

تميز عهد عبد الرحمان بن رستم بالتسامح الفكري، ولم يقتصر على هذا بل تعدى إلى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية، إذ عرفت الأسواق بتنظيم يعكس الانفتاح على المشرق، فكانت الحوانيت والبيوت تنسب إلى ساكنيها فيقال هذا حانوت البغدادي وهذا البصري[2]، بل حتى كانت المساجد تنسب إلى معتادتها، وهذا يعكس العلاقات الوثيقة مع بغداد والبصرة وغيرها من حواضر المشرق، ويؤكد أن المدينة كانت فضاءالتلاقي الحضاري، والتبادل الثقافي في ظل سياسة التسامح التي انتهجها عبد الرحمان بن رستم[3].

---

[1] ابن خلدون، مصدر السابق، ج4، 21. نبي، مرجع السابق، ج2، ص78-79.بشير بن عمرة، **الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دول الموحدين**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص59-61.

[2] البكري، مصدر السابق، ص132. وينظر: ابن خلدون، مصدر السابق، ج4، ص ص122-124.

[3] أبو زكريا، مصدر السابق، ص66. الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد (809هـ-1494م): **تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدر والعقيان**، تح عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص65.

إن تسمية المساجد بأصحابها، دليل على تنوع المذاهب والفرق، وعلى تردد فقهاء الأمصار إليها للتعبد أو للمناظرات والجدل فيما بينهم، أو بينهم، أو بينهم وبين الإباضية، والذي نتج عنه إتقان العلماء لأساليب المناقشة، وقوة الاستدلال بالحجج المقنعة، إن العلاقة التي كانت تربط الدولة الأغلبية بجارتها الدولة الرستمية، سادها من الناحيتين السياسية والمذهبية التعايش السلمي[1].

ومن مظاهر التسامح والتعايش السلمي في المجتمع الإباضي أنهم كانوا لا يمنعون المالكية وغيرهم من الصلاة في مساجدهم إلا المسجد الجامع[2]،وفي هذا المسجد فإنهم إذا رأوا فيه من يرفع يديه منعوه وزجروه، فإن عاد ضربوه[3]. تمكنت المناظرة العلمية في تاهرت أداة للتعايش لا وسيلة للإقصاء؛ حيث ساد أدب رفيع في الحوار بين الإباضية ومخالفيهم، فكانت الحلقات الدراسية تفتح أبوابها للوافدين بتقدير ولطف بالغين، وهو ما أكده المؤرخ ابن الصغيرالمسي المالكي الذي عاش في كنف الرستميين؛ إذ وثق محاورته العديدة مع مشايخ الإباضية في أعقد المسائل العقهية والمذهبية دون أن يمسه سوء أو يتعرض لاضطهاد، مما يثبت أن الدولة الرستمية جعلت من التسامح عقيدة سياسية.

وعلى النقيض من هذا المشهد، اتسمت الحالة المذهبية في إفريقية بنوع من الصرامة المؤسساتية، لاسيما بعد تولي الإمام سحنون منصب القضاء؛ حيث سعى إلى تكريس سيادة المذهب المالكي وحمايته من التشتت المذهبي. ففي الوقت الذي كانت تاهرت ترحب بالمخالف، بدأ سحنون في القيروان باتخاذ إجراءات حازمة لضبط المشهد المذهبي، شملت التضييق على المذاهب السنية الأخرى كالحنفية، ومنع الحلقات التي تخالف المشهور من المذهب المالكي، رغبة منه في توحيد المرجعية

---

[1] سعيدة لوزري، المرجع السابق، ص08.

[2] جامع تاهرت له مكانة مرموقة في كيان الدولة الرستمية، حيث لم يكن مجرد دار للعبادة، بل كان يعد أهم مراكز التعليم والتلقي الإباضي في المغرب الأوسط. ففي أروقته عقدت الحلقات الدرسية التي أشرف عليها الأئمة بأنفسهم. ومنه انطلقت المقررات المصيرية التي عم الرخاء إذ كان جامع قناة إيمان مفتوح لستشار فيه الأمة وتعرض فيه شؤون الدار والدولة. كما جلست حين استقبل فيه عبد الرحمن بن رستم الأعيان المائة الوجوة من مصر لتشرف بحلز بروفيه الدولة الرستمية. المرجع السابق، ص28.

[3] مصطفى مروش، قيام المدرسة المالكية، مسيرت كلية الآداب والعلوم الإنسانية، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1998م.

الفقهية للدولة الأغلبية، وهو ما يبرز التباين الواضح بين انفتاح الحاضرة الرستمية التي قامت على التعدد، و مركزية الحاضرة القيروانية التي رأت في التوحيد المذهبي ركيزة لاستقرار الدولة.

ويرى المستشرق الفرد بل أن تلك المناظرات والمساجلات العلمية التي احتضنتها تاهرت لم تكن مجرد ممارسة للتعايش السلمي، بل كانت استراتيجية دعوية مدروسة تهدف إلى إقناع علماء أهل السنة باعتناق النحلة الإباضية والتمكين لها فكريا، وهو ما يرفع من شأن تاهرت في نظره لتتبوأ مكانة حضارية تضاهي حاضرتي العلم القيروان وتونس اللتين قامتا بالدور ذاته في حماية ونشر مذهب أهل السنة؛ فالمنافسة هنا لم تكن سياسية فحسب، بل كانت صراعا على الريادة المذهبية والشرعية العلمية في بلاد المغرب، مما جعل من تاهرت قطب إشعاع إباضي يحاول استقطاب النخب السنية عبر قوة الحجة والجدل، وهو المناخ الذي دفع علماء المالكية في المغرب الأوسط إلى تطوير أدواتهم الفقهية والمنطقية للصمود أمام هذا المد الفكري المنظم[1].

كانت الأوضاع من جهة الأدارسة تمثل عنصر ضغط دائم على الدولة الرستمية؛ فمن الناحية السياسية كانوا حلفاء، ومن الناحية المذهبية كانوا يمثلون العنصر المغربي للمذهب المالكي الذي بدأ يزاحم الإباضية في عقر دارهم (المغرب الأوسط) عبر مراكز حضرية وتجارية قوية مثل تلمسان .وذكرت الاستاذة سعيد لوزري في رسالتها عن أن إسماعيل العربي قال: "لا يذكر قليلا أو كثيرا عن دولة الأدارسة ولا عن علاقات هذه الدولة بالرستميين الذين كانت تتعايش معهم في سلم ووئام وهذا الصمت يحيرنا...[2].

وقد عرفت الجهة الغربية للمغرب الأوسط حسن الجوار مع جارتها دولة الأدارسة، فالأدارسة وصلوا إلى مدينة تلمسان سنة (173-789م) وكان بها محمد بن خزر المغراوي[3]، الذي خرج إلى

---

[1] نفراد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص149.

[2] سعيدة لوزري، المرجع السابق، ص101.

[3] نفسه، ص101.

إدريس الأول مبايعا مطيعا فأمنه وأبقاه بتلمسان، وفي تلك الفترة كان أهل المغرب الأقصى مالكية وجعل إدريس الثاني المناصب العليا في دولته للمغرب الوافدين عليه من القيروان ومن الأندلس، وكانوا على المذهب المالكي، فأخذهم بطانة وحاشية دون غيرهم منهم قاضيه وكاتبه ووزيره[1]، فلما انتهى من بناء مدينة فاس (193هـ-808م)[2]، وانتقل إليها أسس بها مسجدا فعظم شأنه، ثم استأنف إدريس بن إدريس الفتح، فدخل بلاد المصامدة فدانت له ثم توجه إلى تلمسان ووصلت جنوده إلى مدينة شلف، فملك المغرب الأقصى وجزء من المغرب الأوسط[3].

لم تكن مساهمة أهل الأندلس في ترسيخ المذهب المالكي بالمغرب الأوسط مجرد انتقال جغرافي، بل كانت تدفقا حضاريا متكاملا، حيث نجد المهاجرون والتجار والعلماء الأندلسيون الذين استقروا في مراكز مثل تاهرت، وتلمسان، وتنس دورا حيويا في خلق "كتلة حرجة" من المالكية داخل المناطق التي كانت تهيمن عليها الإباضية والواصلية. وبفضل الارتباط الوثيق لعلماء الأندلس تمركز المذهب في المدينة المنورة وقوة حجتهم الفقهية، استطاعوا تحويل الحواضر الساحلية والداخلية إلى نقاط إشعاع مالكي، مستفيدين من نفوذهم الاقتصادي وتفوقهم في علوم الحديث واللغة، مما جعل المذهب المالكي يكتسب صبغة "النخبوية الحضارية" التي استقطبت المكونات الاجتماعية المحلية، ومهدت الطريق لتحوله من مذهب حاشية وافدة إلى مرجعية فقهية شعبية سائدة في عموم المغرب الأوسط[4]، التي دامت مدة طويلة رجح أن التحركات العسكرية والصدامات التي شهدها المغرب الأوسط، وما

---

[1] ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، ت 724هـ-1324م). **الأنيس المطرب في روض القرطاس**، منشورات دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص20. المراكشي (أحمد بن محمد، ت 615هـ-1897م). **الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى**، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، تح محمد حجي، وزميله بوطالب، وأحمد توفيق، 2001م، ج2، ص31.

[2] مصطفى الهوس، مرجع نفسه، ص28. ابن عذاري (أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله المراكشي، ت 712هـ-1312م). **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ج1، ص193.

[3] سعيدة لوزري، مرجع نفسه، ص101.

[4] مرتاض، مجلة الأصالة، العدد 45، السنة الخامسة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، جمادى الأولى 1397هـ/ماي 1977م، ص62.

تلاها من نصر بعد هزيمة، قد وفرت مناخا خصبا لـ الاحتكاك المباشر بين القادة وجنود الخلفين وتقربهم من حقد الأندلس؛ حيث لم يكن هذا التلاقي عسكريا بحتا، بل تحول إلى قناة لنشر أصول المذهب المالكي وقيمه السلوكية بين صفوف المقاتلين. فبهر الفاتحين أو المتحالفين الأندلسيين بوضوح منهجهم الفقهي وانضباطهم المذهبي دفع بهؤلاء القادة وجنودهم إلى تبني المذهب ونقله عند عودتهم إلى قراهم ومكناتهم، مما جعل "المالكية" تتسرب إلى الوعي الشعبي عبر المؤسسة العسكرية، لتتحول بمرور الوقت من معتقد يحمله الجند إلى واقع مذهبي يفرض نفسه في المناطق التي شهدت تلك اللقاءات التاريخية[1].

كما تمركزت فيها جاليات أندلسية في المدن الساحلية قصد التبادل التجاري، فنجد مثلا أن مدينة وهران قام ببنائها مجموعة من الأندلسيين البحريين منهم اثنين من رجال الدولة الأموية محمد بن أبي يعون ومحمد بن عبدون سنة (201هـ/812م)، بالاتفاق مع قبائل الجزر المجاورين لها، فسكنوها مع قبائل بنو مسكين، وقام الأندلسيون أيضا ببناء مدينة تنس سنة 262هـ/875م، التي أصبح ميناؤها مقصدا لمراكبهم يأتونها تتاجرهم وينتقلون منها إلى ما سواها من المدن[2].

وكان يسكنها فريقا من الأندلسيين من أهل البيرة وأهل تدمير[4]، واستوطنوا بونة[5]، وبجاية ومرسى فروخ، كانت تحط فيها قوافل المحار التي كانت تأتي من القيروان أو من تاهرت متجهة نحو الأندلس، وما له دلالة أكثر أن أحد أبواب تاهرت كان يسمى باب الأندلسيين.

---

[1] القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص465-477.

[2] سعيدة لوزي، المرجع السابق، ص102.

[3] نفسه، ص 102.

[4] بلال عبد العزيز، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص101. هنتي، المرجع السابق، ص135.

[5] ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، ت 403هـ-1013م): **تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ-1997م، ص262.

كما جسد الجذور العميقة للعلاقات الأندلسية الرستمية شبكة معقدة من التفاعلات السياسية والفكرية التي بدأت ملامحها منذ عهد عبد الرحمن الداخل ومروره بضواحي تاهرت، مما جعل العاصمة الرستمية عمقا استراتيجيا وملاذا سياسيا للمعارضة الأموية، كما تجلى في لجوء عبد الله البلنسي إليها؛ هذا الحراك الدبلوماسي والسياسي لم يكن بمعزل عن التأثير العقدي، إذ أدى الوجود الأموي المستمر في البلاط الطاهرتي والاحتكاك بالنخب القرطبية إلى تسرب المذهب المالكي كرافد حضاري مرتبط بالهوية السياسية للأندلس، مما حول تاهرت إلى فضاء تتقاطع فيه المصالح المتبادلة ضد الخلافة العباسية، ومهد السبيل للمذهب المالكي ليتغلغل في النسيج الاجتماعي للمغرب الأوسط بوصفه مذهب الحليف القوي والنموذج الإداري الناجح، متجاوزا بذلك حدود الخلاف المذهبي لصالح الوئام السياسي والاقتصادي[1].

وصفوة القول، إن التجربة الرستمية في المغرب الأوسط لم تكن مجرد ظاهرة مذهبية عارضة، بل شكّلت مركز ثقل حضاري استطاع مضاهاة القيروان في إشعاعها العلمي، موفرا بيئة خصبة للتعددية المذهبية التي سمحت للمذهب المالكي بالتحضر والنمو؛ إذ تشير المعطيات التاريخية إلى أن بذور هذا المذهب زرعت قديما عبر بعثة التابعين العشرة، مما خلق قاعدة شعبية سنية ظلت تمارس حضورها الفقهي والاجتماعي في أوساط البربر بعيدا عن أطر السلطة السياسية. ورغم شح المادة المصدرية في توثيق آليات الانتقال، إلا أن تضافر شهادات الجغرافيين؛ كالإصطخري؛ مع واقع الاحتكاك بالأندلس والقيروان، يثبت أن المذهب المالكي استطاع فرض هيمنته الفتوية في المغرب الأوسط بفضل مرونته وقوته الاستدلالية، ليتحول من مذهب موازٍ في كنف الإمامة الرستمية إلى مرجعية فقهية سائدة، استوعبت الخصوصيات المحلية وظلت الملاذ التشريعي الذي احتكمت إليه الأمة في معاملاتها وروابطها الاجتماعية.

[1] بكري، المصدر السابق، ص71-71.

ثالثا: نماذج من الفقهاء المالكية بالمغرب الأوسط

شهد القرن الثالث الهجري وجود حراك فقهي مالكي وازن في المغرب الأوسط ، حيث تشير التراجم المتقاطعة في المصادر السنية والإباضية إلى تشكّل طبقة من النخب العلمية التي استبطنت المذهب عبر مسارين يتمثل أولهما في الاتصال السندي المباشر برأس المذهب في المدينة المنورة، كما يظهر في حالة أبي القاسم البراوي، بينما يتمثل المسار الثاني في التبعية العلمية لمدرسة القيروان عبر قضيها سحنون بن سعيد.

إن هذا التباين لا يقلل من القيمة التاريخية لهذه الأعلام، بل يؤكد على بكورة الرحلة في طلب العلم لدى فقهاء المغرب الأوسط، ويشير إلى وجود نواة علمية محلية استطاعت التغلغل في الأوساط القبلية، مما يمنح المذهب المالكي شرعية تاريخية سبقت التدوين الرسمي في المنطقة، ويثبت أن الصمت المصدري للأطراف لم يكن انعكاسا لغياب النشاط الفقهي بقدر ما كان نتاجا لمركزية التدوين في الحواضر الكبرى.

يعدُّ بكر بن حماد التاهرتي (201هـ – 290هـ) أحد أبرز القامات العلمية والأدبية التي أنجبها المغرب الأوسط في القرن الثالث الهجري، ويمثل حلقة وصل فريدة بين المشرق والمغرب؛ فبعد نشأته في كنف الدولة الرستمية، شدَّ الرحال في طلب العلم نحو القيروان ثم البصرة والكوفة وبغداد والحجاز، حيث عاصر فحول الشعراء وأكابر المحدثين، مما جعله يجمع بين براعة الأدب ورصانة الرواية[1].

تميز بكر بن حماد بكونه سنيَّ المذهب في بيئة يغلب عليها الفكر الإباضي، وظل محل تقدير واحترام لدى أئمة تاهرت لمكانته العلمية الرفيعة، وقد اشتهر ببراعته في الشعر التعليمي والوعظي، ولا سيما قصائده في مدح المذهب المالكي والذبِّ عن السنة، ليلقب بـ "شاعر المغرب" ومحدثه؛ ويُعَدُّ اسمه كأحد أعظم السفراء الثقافيين الذين نقلوا معارف المشرق وعلوم الحديث إلى ربوع المغرب

[1] علي بن محمد بن محمد بن عمر بن فاسم، ت 730هـ-1441م). شجرة نور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خياني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ-2003م، ج1، ص108.

الأوسط، مساهما بذلك في تعزيز الهوية السنية والمالكية في المنطقة قبل وفاته في تيهرت عن عمر ناهز المائة سنة.[1]

تتصدر على يده العديد من طلبة العلم من افريقية والاندلس وهو كتيّ الحفظ صحيحه، ذهب إلى البصرة وقرأ بين يدي فقهائها كعمر بن مرزوق والسجستاني وغيرهم....[2]

وذكرت الاستاذة سعيدة بوزري أنه كانت بينه وبين دعبل بن علي الخزاعي نزاع، إذ أن دعبل من الشعراء الشيعة الذين اشتهروا بمحاربة الخلفاء العباسيين، فكان مصرعه على أيديهم، فقد ذكر محمد علي مكي: أنه من الطبيعي أن يستنكر الشاعر بكر بن حماد بدعبل، لأن بكرا كان سنيا متطرفا وكانت نشأته الأولى في رحاب دولة تدين بمبادئ الخوارج[3].

لم تقتصر المكانة العلمية لـ بكر بن حماد التاهرتي على الأروقة المعرفية، بل تعدتها لتشمل حضوة سياسية لافتة لدى حكام الأدارسة، تجلت في مدحه لأمير حرورة "أبي العيش عيسى بن إدريس" وتلبية دعوة الأمير "أحمد بن القاسم" لزيارة فاس والاستقرار بها حقبة من الزمن[4]. وقد تكللت عودته إلى القيروان سنة (274 هـ) للاستقرار بجامعها إملاء وتدريسا ذروة نفوذه الثقافي، قبل أن تفترق أواخر حياته باضطرابات سياسية ومأساة إنسانية؛ إذ تعرض في طريق عودته من القيروان إلى تاهرت لاعتداء غادر بجهة "سباعة" أدى إلى مقتل ولده عبد الرحمن وإصابته بجروح بليغة. ورغم تضارب الروايات المتأخرة حول مكان وفاته، إلا أن الراجح تاريخيا هو وفاته بقلعة حمة بمال مسقط رأسه تاهرت سنة (296 هـ) عن عمر ناهز ستة وتسعين عاما، حيث ووري الثرى في جنازة مهيبة أمّها الفقيه "موسى

---

[1] خالد حوبيش، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين، منشورات المكتب الجزائري لطباعة ونشر وتوزيع، بيروت، 1971م، ص53-84. الجيلاني عبد الرحمن بن محمد: تاريخ الجزائر العام، ط4، دار الثقافة، بيروت، (1400هـ-1980م)، ج1، ص180.

[2] نفسه، ص180 وما بعدها.

[3] سعيدة بوزري، مرجع سابق، ص 111. وينظر: محمد علي مكي، التاهرتي شاعر المغرب العربي في قرن 3هـ-9م، مجلة سومر، العدد 53، بغداد، 1962م، ص81.

[4] الزوي، المصدر السابق، ص71.

بن البادسي". ليرحل تاركا إرثا سنيا مالكيا رسخ جسور التواصل بين حواضر المغرب الأوسط والأقصى وإفريقية[1].

والفقيه عبد الرحمن بن بكر بن حماد: له رحلة إلى الأندلس وحدث بقرطبة عن أبيه، وكتب عنه غير واحد من شعر أبيه ومن أحاديثه، توفي في سنة 296هـ-918م عند عودته من القيروان إلى تاهرت مع أبيه)[2].

والفقيه قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي تتلمذ على بكر بن حماد، كان من أهل الحديث، دخل الأندلس سنة 317هـ-929م وهو صغير السن[3].

والفقيه أبو عبد الملك المشوني وابنه إسحاق. كانا عالمين ممن يأخذ عنهما، فقد سمع منهما أبو عبد الله بن مبمون مفاتل وغيرهما: قال عنه المالكي: "كان ربما جالس سحنون بن سعيد"؛ لأنه شوهد عنده وقال عنه أبو العرب: "أحسبه قال سمع منه"؛ كانت له حادثة مع سليمان بن عمران ذكرها ابن الحارث الخشني قال: "سمعت من يحكي أن سليمان بن عمران لقي إسحاق يوما فقال له: "الله أيها الرجل أنت لولا أنك جاهل بحرام الله وحلاله"، فقال له إسحاق: "الله أيها الرجل أنت لولا أنك جاهل بعظمة الله وجلاله". قال أبو العرب أن الأمراء الأغالبة كانوا يعظمون إليه في رمضان بحدثهم تلك العجائب"[4].

والفقيه أبو حاتم يحي بن المنهمي وأخوه العباس بن خالد سمع من عثمان بن صالح في مصر ومن غيره، كان رجلا صالحا، قليل الفقه: ينسب إلى قريش، ولاه سحنون قضاء الزاب (234-

---

[1] عادل نويهض، مرجع نفسه، ص84.

[2] بن الفرضي، مصدر نفسه، ص220. عادل نويهض، مرجع نفسه، ص84.

[3] عادل نويهض، مرجع نفسه، ص85. الدباغ، مصدر نفسه، ص70.

[4] سعيدة لوزري، مرجع السابق، ص 113. ينظر: بكرين، مصدر نفسه، ص32. عبد الرحمن خلاني، مرجع نفسه، ج2، ص179.

240هـ/848-854م)، وكان أول قاض عاد للمنطقة[1] قال عنه أبو العرب: "ما علمت أحدا حدث عنه إلا الله وأحمد"[2].

وجملة مقول القول أن فقهاء المغرب الأوسط شكلوا ركيزة أساسية في بناء الحياة الدينية والثقافية والعلمية، وأسهموا في ترسيخ المرجعية الفقهية المالكية، وضبط الممارسات الاجتماعية وفق الأحكام الشرعية، خاصة في ظل انتشار المذهب المالكي الذي أصبح الإطار الغالب للتقنين الديني، وقد برز دورهم في شتى المجالات، لبعض أثرهم حاضرا في تشكيل الهوية الدينية والثقافية للمغرب الأوسط

الفقهاء المالكية في المغرب الأوسط خلال القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)

اسم الفقيه	سنة الوفاة	المدينة الأصلية	المدن التي رحل إليها	المصدر
أبو الوليد مروان ابن أبي شحمة	242هـ-856م	تلمسان	القيروان	أبو العرب، طبقات 115-116. المالكي، رياض النفوس، ج1، ص362-393. الدباغ معلم الإيمان، ج2، ص106-107.
بكر بن حماد بن سهلك التاهرتي	296هـ-908م	تاهرت	القيروان – البصرة	أبو العرب، صفات، ص37. وما بعدها عدة صفحات. المالكي، رياض النفوس، ج2، ص21 وما بعدها. الدباغ، معالم الإيمان، ج2، ص281 وما بعدها. ابن فرحون، شجرة النور الزكية، ج1، ص108. ابن عذاري، البيان، ج1، ص67. البارودين

[1] عمر بن حماد، المرجع نفسه، القضاة، ص49.

[2] أبو العرب، المصدر نفسه، ص161.

				أزهار الرياضية، ص28. عادل نويهض، أعلام الجزائر، ص55.
عبد الرحمن بن بكر بن حماد	296هـ-908م	تاهرت	الأندلس — القيروان	المالكي، رياض النفوس، ج2، ص21-22. الدباغ، معالم الإيمان، ج2، ص281 وما بعدها. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص220. عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص84.
	296هـ-908م	تاهرت	لا يوجد	نفس المصدر بكر بن حماد
ابن الصغير المالكي	ق 3هـ-9م	تاهرت	لا يوجد	البارون، أزهار الرياضية، ص290-291. وداد القاضي، مورخ الدولة الرستمية، مجلة الأصالة، العدد 45، ص38 وما بعدها. محمد الطالبي ابن الصغير، دار المعارف الإسلامية، ج3، ص658 والكراسات التونسية، 26، ص321-368.
عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التميمي التاهرتي	ق 3هـ-9م	تاهرت	لا يوجد	عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص85.
أبو عبد الملك المشوي	ق 3هـ-9م	بسكرة	لا يوجد	أبو العرب، طبقات، ص98. المالكي، رياض النفوس، ج1، ص401-402. القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص401. عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص51.
	ق 3هـ-9م	بسكرة	القيروان	أبو العرب، طبقات، ص98. المالكي، رياض

إسحاق بن عبد الملك المنشولي				النفوس، ج1، ص401-402. القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص401. عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص51.
أبو حاتم يحيى بن خالد اليسهمي	ق 3هـ-9م	الزاب	القيروان	أبو العرب، طبقات، ص 120-121. بحاز إبراهيم، القضاة في المغرب، ص499.
زياد بن النعيم	ق 3هـ-9م	المغرب الأوسط	حسقية	ابن خلدون، العبر، ج6، ص286-287. موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ص76.
الزواوي	ق 3هـ-9م	الزواوة	لا يوجد	أبو العرب، طبقات، ص154. المالكي، رياض النفوس، ج1، ص248.
حمدون بن عبد الله المعروف بالحلبي	ق 3هـ-9م	ضبنة	لا يوجد	بحاز إبراهيم، قضاة المغرب، ص499.

الفقهاء المالكية الذين استوطنوا المغرب الأوسط خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)

اسم الفقيه	سنة الوفاة	المدينة الأصلية	المدن التي رحل إليها	المصدر
سليمان بن عمران	270هـ-883م	القيروان	بجاية	أبو العرب طبقات، ص180-181. القاضي عياض، المدارك، ج1، ص598. الجودي، تاريخ قضاة القيروان، ص79.

أبو العباس إسحاق بن إبراهيم الأزدي	ق 3هـ-9م	القيروان	الزاب	بحاز غبراهيم، قضاة المغرب، ص499.
إبراهيم بن يونس	ق 3هـ-9م	القيروان	الزاب	بحاز إبراهيم، قضاة المغرب، ص499.

ملاحظة:

هذه الاحصائيات مأخوذة من كتاب تنبيه الطالب للأستاذة سعيدة لوزري، ص ص 114-116

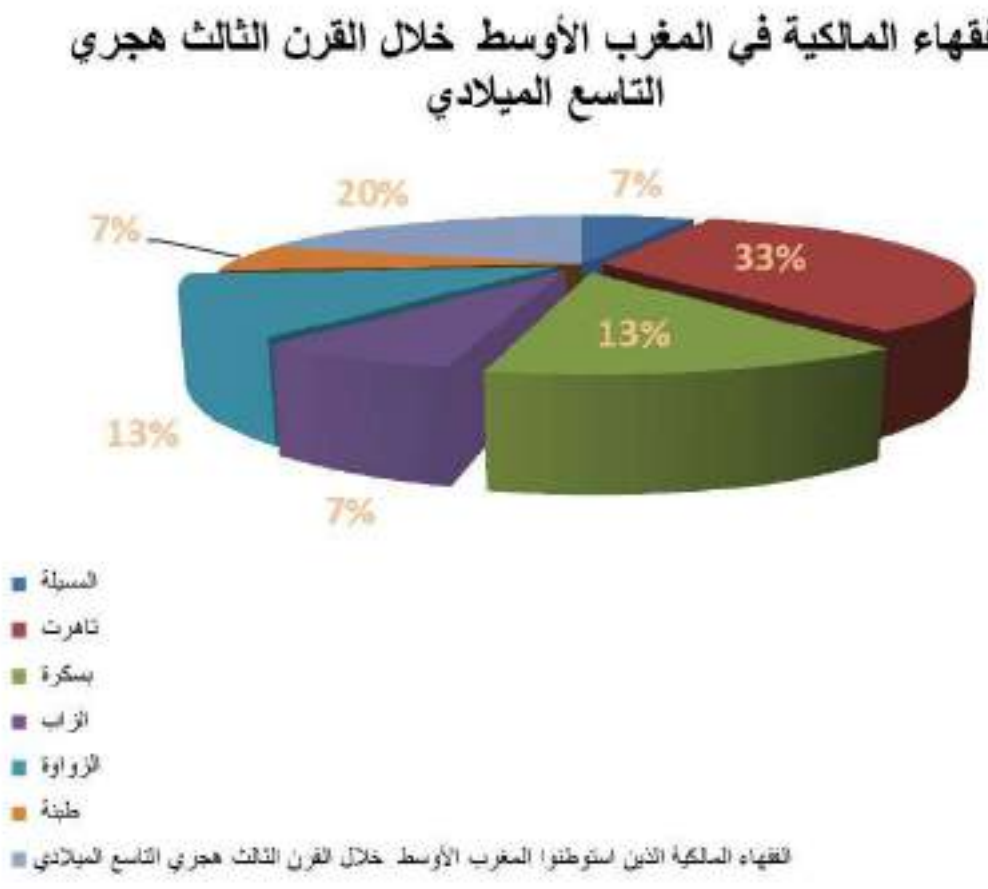

الفصل الثاني :

المذهب المالكي بالمغرب الأوسط في العهد الفاطمي دراسة في الادوار والتحديات

أولا: البنيّة السياسية والدينية للمغرب الأوسط خلال العهد الفاطمي

ثانيا: معارضة المالكية للتشيع الفاطمي في المغرب الأوسط

ثالثا: سياسات الدولة الفاطمية تجاه المالكية وانعكاساتها على المغرب الأوسط

تمهيد:

يعد دخول الدولة الفاطمية إلى بلاد المغرب منعطفا تاريخيا مهما في مسار المنطقة خلال أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، حيث ارتبط هذا الحدث بتحولات سياسية ومذهبية عميقة. فقد نشأت الدعوة الفاطمية في إطار الفكر الإسماعيلي الشيعي، وسعت إلى تقويض نفوذ الخلافة العباسية وبسط سلطتها في الأقاليم البعيدة عن مركز الحكم.

وقد وجدت في المغرب الأوسط والأقصى بيئة ملائمة لنجاح هذه الدعوة، نظرا لضعف السلطة المركزية وتفكك الكيانات السياسية، إلى جانب التباينات القبلية والمذهبية. وفي هذا السياق، برز دور الداعية أبو عبد الله الشيعي الذي نجح في استمالة قبائل كتامة، مستغلا تذمرها من حكم الدولة الأغلبية. وعليه، فإن دخول الفاطميين إلى بلاد المغرب لم يكن مجرد توسع سياسي، بل كان مشروعا دعويا متكاملا، أسهم في إعادة تشكيل الخريطة السياسية والمذهبية للمنطقة، وترك آثارا عميقة امتدت لقرون لاحقة[1].

اعتمد الفاطميون على دعوة دينية منظّمة ذات أبعاد سياسية، قادها الداعية أبو عبد الله الشيعي، الذي نجح في نشر مبادئ التشيع بين قبائل كتامة، مستفيدا من تذمرها من حكم الأغالبة آنذاك. وقد تميز التشيع الفاطمي بطابعه الدعوي السري في بدايته، حيث ركّز على فكرة الإمامة وشرعية آل البيت في الحكم، مما أكسبه قبولا لدى بعض الفئات الاجتماعية الباحثة عن بديل سياسي وديني[2].

---

[1] ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، دار الثقافة للنشر، بيروت، ط1، ج1، ص ص 151-161. المقاسي المعتصم، صاحب الدعوة، تحقيق مرحات الدشراوي، دار الغرب الإسلامي، 1989م، ص ص45-51.ينظر: بوعة بحاي: **النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي (296-362هـ/909-973م)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، 1415هـ-1995م، ص13.

[2] أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمد بن عمر صاحب حماة، ت 732هـ -1331م، تقويم البلدان، مكتبة المثنى، بغداد، دار الكتاب العربي للنشر، 1840م، بوعة بحاي، المرجع، ص13. انظر: أبو المغرب، المصدر السابق، ص27 وما بعدها. المالكي، المصدر السابق، دار بيروت، ج1، ص152.

أولا: البنية السياسية والدينية للمغرب الأوسط خلال العهد الفاطمي

عمل أبو عبد الله الشيعي على تثبيت المذهب الإسماعيلي في المغرب الأوسط عبر مجموعة من الوسائل السياسية والدعوية والعسكرية المتكاملة، ولم يكن الأمر مجرد نشر عقيدة دينية، بل مشروعا منظما يخدم قيام الدولة الفاطمية[1].

اعتمد على الدعوة السرية والتنظيم الهرمي، حيث بدأ بنشر أفكار التشيع الإسماعيلي في أوساط محدودة، مستهدفا القبائل البربرية وخاصة كتامة، مع التركيز على فكرة الإمامة وشرعية آل البيت، مما ساعد على كسب تعاطف تدريجي بعيدا عن المواجهة المباشرة مع السلطة القائمة.

ثانيا، وظّف الخطاب الديني الإصلاحي الذي قدم نفسه بديلا عن فساد حكم الدولة الأغلبية، فاستثمر حالة التذمر الاجتماعي والاقتصادي، وربط الدعوة بالعدل ورفع المظالم، مما جعلها مقبولة لدى فئات واسعة من القبائل[2].

كما اعتمد على التنظيم العسكري والقبلي، حيث نجح في تحويل ولاء قبائل كتامة إلى قوة عسكرية منظمة، استخدمها في إسقاط الدولة الأغلبية سنة 909م، وهو ما منح المشروع الفاطمي قوة واقعية عززت انتشار المذهب[3].

بعد قيام الدولة، ساهم في ترسيخ المذهب عبر السلطة السياسية، من خلال التحكم في القضاء والخطبة والتعليم، وإدخال الفكر الإسماعيلي في مؤسسات الدولة، مما جعل التشيع مرتبطا بالشرعية السياسية الجديدة[1]

---

[1] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص40. ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص4، ص41. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص461.

[2] أبو زهرة محمد: **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص134. يقطين، بوبة خالق، مرجع السابق، ص13.

[3] الشرفي فرحات: **الخلافة الفاطمية بالمغرب** (296-365هـ / 909-975م) تاريخ سياسي ومؤسسات، رحمة حماني للنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ص 154.

وبذلك، فإن نجاح أبي عبد الله الشيعي لم يكن مجرد نجاح دعوي، بل كان نتيجة تداخل بين التنظيم الديني والاستثمار السياسي والتوظيف العسكري، وهو ما مهد لقيام الدولة الفاطمية وترسيخ مذهبها في المغرب، وإن كان هذا الترسيخ قد بقي محدودا خارج مناطق النفوذ القوي.

والدارس لظهور الفاطميين في بلاد المغرب لا يغفل بأي حال من الأحوال عن قضية المهدي التي من خلالها بنى الفاطميون سياستهم، واستمالوا بها القبائل عمى غرار كتامة[1].

كما تعد قضية المهدي من القضايا العقدية التي اختلف حولها التصور بين الفاطميين وأهل السنة، إذ اكتسبت عند كل طرف دلالات دينية وسياسية متميزة. ففي الفكر الإسماعيلي الفاطمي ارتبط مفهوم المهدي بفكرة الإمام المعصوم المستتر الذي يظهر في زمن معين ليؤسس دولة العدل، وقد تجسدت هذه الفكرة في شخصية عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية سنة 909م، حيث قدم باعتباره الإمام المهدي والقائم بأمر الله، وهو ما منح الحركة الفاطمية مشروعية دينية لتأسيس كيان سياسي مستقل عن الخلافة العباسية، لتصبح فكرة المهدي بذلك أداة مركزية في بناء الشرعية السياسية والمذهبية للدولة[2].

وأما عند أهل السنة والجماعة فإن الإيمان بالمهدي لا يعد من أصول العقيدة وإنما يدخل ضمن أشراط الساعة، حيث يعتقد أنه رجل صالح من آل البيت، من نسل فاطمة رضي الله عنها، يظهر في آخر الزمان يملأ الأرض قسطا وعدلا بعد أن ملئت جورا، روى والترمذي أن النبي صلى

---

[1] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، ص63. نقلا عن سيف الدين : ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع دمشق، سوريا، 1993م.

[2] موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص 34.

[3] نقلا عن سيف الدين : ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع دمشق، سوريا، 1993م، ص76.

الله عليه وسلم قال: "**لا تذهب أو لا تنقضي– الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي**"[1].

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**المهدي مني.. أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا، يملك سبع سنين**"[2]..

لم يقتصر الاعتقاد في ظهور المهدي على الشيعة فقط، فمن علماء السنة من كان ينتظر ظهور المهدي الفقيه أبي خالج عبد الرحمن بن أنعم المغافري (161هـ–777م) الذي قال: سنقتطع الجهاد في كل البلاد وسيعود إلى إفريقية وتتضرب القبائل من الآفاق إلى إفريقية بعدل إمامهم ورخص أسعارهم وفتح فيهم...' وأن الإمام الذي سينشر العدل بإفريقية يليهم سبعا وثلاثين سنة[3]. وكذلك معمر ابن منصور من علماء القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)[4] ممن يقولون بإمامة عيسى –رضي الله عنه–. ففكرة المهدي لم تكن من أركان العقيدة الإسلامية وأصولها وإنما كانت اعتقادا فرعيا انطوى على أمل الخلاص من الأوضاع المتردية على يد الزعيم الرمز[5].

1- ملامح الحكم الفاطمي في بلاد المغرب الأوسط:

---

1 أبو عيسى محمد الترمذي، سنن الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ج3، ص897.

2 مالك ابن أنس الأصبحي، الموطأ، دار الفكر، ط2، بيروت، 1989م، ص654.

3 ابن الأثير (عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ت 630هـ–1238م): **الكامل في التاريخ**، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ–1987م، ج6، ص450. يقول المقريزي نقلا عن علي بن سعيد: "وجدنا بأخبار الأئمة الفاطميين حتى تحقيق خبر ابن تومرت، دار الفكر الإسلامي، القاهرة، 1948م، ص ص 20–20. بوعياد، المرجع السابق، ص13. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص ص65–68. ابن خلدون، العبر، ج1، ص134.

4 أبو العرب، المحن، ص113.

5 بوعياد، المرجع السابق، ص13. وانظر حسن رمضان إدريس: **الدولة الصنهاجية :تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، تر: حمدي شاهين، دار المغرب الإسلامي، 1992م.

ذكر سيف الدين القصبم في ترجمته لابن حوشب والحركة الفاطمية في المغرب أنه منتصف القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) أسندت الدعوة إلى منصور اليمني (ابن حوشب) [1] في سياق التنظيم الهرمي للدعوة الإسماعيلية التي كانت تعتمد على نظام دقيق من الدعاة (الدعوة السرية) المرتبطين بالإمام المستور في تلك المرحلة. فقد كان مركز الدعوة في البداية تحت إشراف القيادة الإسماعيلية في المشرق، ثم تم اختيار ابن حوشب باعتباره أحد الدعاة الكبار ما عرف به من علم، وقدرة على التنظيم، والتأثير في البيئة القبلية اليمنية. وقد وصل إلى اليمن في أواخر القرن الثالث الهجري (حوالي 268هـ/881م)، وكُلّف بنشر الدعوة باسم الإمام الإسماعيلي المستور، حيث عمل على تأسيس قاعدة دعوية في جبال وصعدة ومناطق نائية، مستفيدا من ضعف السلطة العباسية والنزاعات المحلية، فاستطاع بناء شبكة من الأتباع والدعاة، وكان ذلك تمهيدا لامتداد النفوذ الإسماعيلي الذي سيمهد لاحقا في قيام الدولة الفاطمية في المغرب.

تم توسيع نشاط الدعوة نحو مناطق المغرب الإسلامي، حيث أُوفد دعاة مختارون بعناية لتهيئة الأرضية السياسية والدينية لقيام الدولة الفاطمية لاحقا. فقد جرى إرسال الداعيين الحلواني وأبو سفيان ضمن شبكة الدعاة الكبار التابعين للقيادة الإسماعيلية، بهدف نشر المذهب الإسماعيلي في بلاد المغرب واستقطاب القبائل البربرية، مستغلين حالة الاضطراب السياسي وضعف سلطة الأغالبة آنذاك[2]. وكان الحلواني يقول: "بعثت أنا وأبو سفيان إلى المغرب فقيل لنا: اذهبا فإنكما تأتيان أرضا بورا، فأحرثاها وكرباها وذلّلاها إلى أن يأتيها صاحب البذر فيحدها مذللة فيبذر حبه فيها"[3].

---

[1] القاضي النعمان (أبو حنيفة بن محمد بن حيون التميمي)، كان حيا (303هـ-974م)، داعي الدعوة، مع مرحلة المغرب، فتح شركة الوطنية للتوزيع، دون طبعات، الجزائر، 1980م، ص2 وما بعدها من عدة صفحات، وعن أصل ونشأة ابن حوشب، انظر: سيف الدين القصبي: **ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن**، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا، 1993م، ص31 وما بعدها من عدة صفحات.

[2] ابن ذكري، المصدر السابق، ص130. حاتمي محمود، مرجع السابق، ص294.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 41. والقاضي النعمان، المصدر السابق، ص78.

وبعد أحد كبار رجال الدعوة هناك وذلك في سنة 266هـ/879-880م[1]، كان ابن حوشب مسؤولا عن تكوين الدعاة وإرسالهم إلى مناطق مختلفة لنشر الدعوة أصله من الكوفة من بيت علم وتشيع قرأ القرآن وقومه وتعلم الحديث والفقه، وكان مذهبه الإمامية الإثني عشرية[2]. من أصحاب محمد بن الحسن بن علي بن محمد بنعلي بن موسى بن جعفر الصادق، وأكد هذا لما التقى الداعي بالإمام بالعراق وسأله عن اسمه واسم أبيه ومذهبه ثم قال له: أعرف بك من الشيعة الإثني عشرية فقال له: "نعم"[3].

اختار أبو سفيان منطقة تالا[4]، بينما وصل ينبما وصل الحلواني إلى ناحية سوجمار، واختار منطقة الناظور[5]، وهاتان المنطقتان قريبتان من المغرب الأوسط، وأول عمل قاما به كل واحد منهما هو بناء مسجد يكون مركز الدعوة المذهب الشيعي، فكان أهل تلك النواحي يأتون من كل حدب وصوب ليسمعوا عنهما فضائل أهل البيت، وما تعرضوا له من اضطهاد، فكسب الداعيان أعدادا كبيرة من سكان مرماجنة والأربس، ونفطة[6]، وكتامة، ونفزة، وهمانة[7] يشكون له الإمارة (الرستمية) منهم الشيعة[8]، وهذا يؤكد وصول الدعوة الشيعية إليها[1].

---

[1] سيف الدين الغفير، المرجع السابق، ص55. بوعزة بحاج الطيب، مرجع السابق، ص14. وانظر أيضا: M. Vonderheiden, La Berberie orientale sous la dynastie des Benou I-Arlab 800-909, MM librairie oriontaliste Pal Geuthner, Paris, 1927, p284.

[2] أبو زكريا، المصدر السابق، ص73. القاضي النعمان، المصدر السابق، ص4.

[3] نفسه، ص6. بوعزة بحاج الطيب، مرجع السابق، ص17.

[4] تالة: هي مدينة وقلعة بالقرب من جبل جزولة تقع في أواسط المغرب الأوسط حاليا، عمر ولاة القيروان، وتعتبر من أعلى بلاد تونسية بربقاء. ينظر: محمد الطيبي، مدينة الأغالبة، مرجع السابق، ص153.

[5] المقريزي: المصدر السابق، ج2، 234.

[6] ذكر القاضي النعمان أن أبا سفيان سمع على بابه أهل مرماجنة والأربس بنفطة، و جبلي، أهل كتامة، ونفزة وهمانة. أنظر: القاضي النعمان، المصدر السابق، ص27. بوعزة بحاج الطيب، مرجع السابق، ص19.

[7] ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص450. القاضي النعمان، المصدر السابق، ص20.

[8] أبو زكريا، المصدر السابق، ص130. محمود إسماعيل، مرجع السابق، ص294.

دخل الداعي أبو عبد الله الشيعي بلاد المغرب، واعتمد على قبيلة من المغرب الأوسط وهي جيجل[2] نجح الداعيان[3] في نشر دعوتهما التي وصلت إلى مدينة تاهرت، وكان مدينة جيجل السبق في احتضان الدعوة الشيعية والتشيع بعبادتها إذ برز من بين صفوف الجحيج الكتاميين الذين استقبلوا أبا عبد الله الشيعي ورافقوه إلى المغرب الأوسط شخصيات قيادية تخرجت من مدرسة الداعيين الحلواني وأبي سفيان، وفي مقدمتهم "الجميلان "حريث الجميلي وموسى بن مكارم، اللذان جسدا دور القبيلة المحوري في نصرة تلك الدعوة وتثبيت أركانها.[4]

ومن الأسباب التي جعلت أبا عبد الله الشيعي يختار إيكجان، أن هذه المنطقة موجودة في منطقة جبلية وعرة، جوارها ينابيع كثيرة كما أن الطرق المؤدي إليها والمنطقة منها، طرق ضيقة فهي تلائم حركة الدعوة الجديدة بين سكان المنطقة، كما أن وفرة حبوبها جعل الداعي يختارها كمركز للانطلاق نحو إفريقية، ويساعده في تموين الجيش الناشئ للدفاع عنها، كما أن موقعها في آخر إفريقية، بعيدة عن الخطر الأغلبي الذي قد يهدد الدعوة بين الحين والآخر قبل أن يشتد ساعدها فوجودها في هذا المكان يسهل الوصول إلى قلب إفريقية.[5]

---

[1] سعيدة بورزق، مرجع السابق، ص ص123-124.

[2] جيجل: تسمية تارغية بن فرج مالوة ولا يزال اسم هذه القبيلة معروفا حاضرا في تضيوغراب الإدارية لولاية جيجل كما تسمى بنداها الخليج، متوسط يقع على بعد 311 كلم في الاتجاه الجنوبي الشرقي من مقر الولاية، حيث يمكن الوصول إليه انطلاقا من مدينة جيجل مرورا بمدينة تكسنا.بوعلام بوطاف، المرجع السابق، ص24.

[3] كانت مدة بين دخولهما ودخول أبي عبد الله الشيعي 135 سنة، وذكر القاضي النعمان مارخ دولة الفاطمية أن من حوادث كان بقول لأبي عبد الله الشيعي : إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان. وهانا وليس لها غيرك. فبادر فانها موطأة ممهدة لك. انظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص311. تاريخ الخلفاء الفاطميين في المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985م، ص83. ابن حماد الصنهاجي (أبو عبد الله محمد ب 620هـ/1230م): أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق الحبيب الفقي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص19.

[4] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص64. موسى لقبال، كتامة، ص117-230-231.

[5] سعيدة بورزق، المرجع السابق، ص126.

وقد أحسن أبو عبد الله الشيعي استثمار هذا الوضع: فحول بيكجان من مجرد موضع جبلي معزول إلى مركز قيادة فعلي، تدار منه عمليات التنظيم والتجنيد والتعبئة، ليصبح بذلك نقطة الانطلاق الحاسمة التي مهدت لسقوط دولة الأغالبة سنة 909م وبروز الدولة الفاطمية في المغرب.

لم يكن الشيخ الكتامي الذي التقى به أبو عبد الله الشيعي في الحج يعلم هدف أبي عبد الله الشيعي إلا بعدما أعتاد النقود مقابل صلاته وتعليمه الصبيان في المسجد، فعندما رفضها[1] أفصح له قصده فقال له: "لست بمعلم الصبيان إنما الأمر ما أخبرتك به ! فاسمع إنما نحن أنصار أهل البيت، وقد جاءت الرواية فيكم يا أهل الكتامة ! إنكم أنصارها، والمقيمون لدولتنا، وإن الله يظهر بكم دينه، ويعز بكم أهل البيت ! وإنه سيكون إمام منهم أنتم أنصاره، والباذلون مهجتهم دونه، وعن الله يستفتح بكم الدنيا كلها، ويكون لكم أجركم مضاعفا، فيجتمع لكم خير الدنيا والاخرة !"[2]

استجاب الشيخ بحماس بالغ لما عرضه عليه أبو عبد الله الشيعي، معلنا تفانيه المطلق في سبيل الدعوة بقوله إنه يبذل في سبيلها روحه وماله وأتباعه، مؤكدا طاعته الكاملة للداعي في كل ما يأمر به، وبناء على هذا العهد، كلفه أبو عبد الله ببدء التبشير بالدعوة بين أهله وعشيرته، ليتطلق الشيخ منذ تلك اللحظة في تنفيذ استراتيجية التوسع الدعوي التي رسمت له.

كان أول ما أظهره أبو عبد الله الشيعي من مذهبه في المغرب الأوسط، عدم صلاة التراويح في أول شهر رمضان له لأنها ليست من سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– وإنما سنها الخليفة عمر بن الخطاب[3]. وقبل الشيخ بما قاله أبو عبد الله الشيعي، فشاع خبره في تلك النواحي، فاعترض بعضهم

---

[1] ابن حماد، مصدر سابق، ج4، ص17.

[2] ابن عذاري المراكشي، مصدر سابق، ج1، ص127. ينظر: سعيدة لوزري، مرجع سابق، ص127.

[3] القاضي النعمان، **دعائم الإسلام** تح آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، الإسكندرية، 2010م، ص213–214. ينظر الإمام مالك: الموطأ، رواية يحيى بن يحيى الليثي المصمودي، إعادة تنسيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1324هـ/2003م، ص132. الإمام مالك: المدونة الكبرى، رواية الإمام سحنون عن الإمام عبد الرحمن

واتصلوا بمنزل الشيخ وأخبره وهو من المعترضين الكتامي الذي التقى به بمكة، ما دعا إليه الداعي وكان هذا الأخير حديث مع أخيه الشيخ نصه: "مالك ولهذا المشرقي الذي أفسد دينك وغير مذهبك؟!. وكان رد الشيخ إما أن يدخل في هذا المذهب أو يفارقه"، رفض أخو الشيخ واستطاع أبو عبد الله الشيعي أن يكسب كثيرا من المعارضين فدخلوا في دعوته[1].

تأجج الصراع الأخوي حين اعترم شقيق الشيخ إخراج أبي عبد الله الشيعي عبر مناظرة فكرية استعان فيها بالفقهاء المغلبين، فما كان من الشيخ إلا أن استنجد حشد القبيلة لبواري طموحات أخيه الثائرة في كمين دموي حاسم[2]. وبذكاء اجتماعي متوقد، نصب الشيخ دور المفجوع بموت شقيقه ليمتص غضب عشيرته، محولا مراسم العزاء إلى منصة لانتزاع الولاءات المقدسة وبيعة العمياء للدعوة. وقيل رحيله، رسخ الشيخ شرعية الشيعي بوصية ختامية لأهله، كانت بمثابة الضوء الأخضر الذي فتح أبواب القبائل الكتامية على مصراعيها لاعتناق المذهب الجديد والانضواء تحت لوائه[3].

استهل الداعي الإسماعيلي مقامه في ديار كتامة بركون إلى الهدوء وسكينة مكنته من غرس بذور مذهبه في التربة القبلية، فغدا مرارا للوفود التي استهوتها أدبيات الولاء لآل البيت، وحيرة العابد المبتهل الذي طرح زينة الدنيا خلف ظهره. وقد أفرز هذا الاحتكاك فصيلين من الأتباع: مريدون آثروا المجاورة والانحجام المباشر بمركز الإشعاع، ودعاة قفلوا إلى قبائلهم برسائل تبشيرية وسعت من دائرة النفوذ

من مقدمه المغني، تح تخريج، عامر الجزار وعبد الله النشوتي، دار الحديث، القاهرة، 1426هـ/2005م، ج1، ص323-324). وأنظر أيضا: Robert Brunschvig : **Etudes d'Islamologie**, T.I, édition T.P Mainsonneuve et larose, Paris, 1976, p 63.

[1] سعيدة لورغي، مرجع السابق، ص ص127-128.

[2] المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ج1 ص123. بن حماد، أخبار ملوك، المصدر السابق، ص6، ص ص184-191.

[3] بن عذاري، المصدر السابق، ج1، 128. ينظر: فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص02. محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص237.

الروحي للداعي[1]. وبمنهجية تتوخى الحذر، كان يوزع عصتر المسترشدين بقدر معلوم، ضاربا عرض الفضول الزائد بسياج من الكتمان عبر قاعدته الذهبية "أبلغ ولقن"؛ وهي استراتيجية تهدف إلى تعميق الانتماء عبر التدرج في الكشف عن المكنون. ومع ذلك، لم يسلم هذا الحراك من ممانعة فكرية تيار مرتاب، رأى في سرية الدعوة وجها من وجوه الزندقة، واعتبر مظاهر النسك مجرد حيلة سياسية وأقنعة رياءية تهدف إلى استلاب عقول العامة واختراق البنية القبلية التقليدية[2].

شهدت منطقة إيكجان حراكا سياسيا مكثفا بوفود القبائل التي عكست حالة الانقسام الخاصة حيال المشروع الفاطمي الصاعد؛ فبينما استجابت بعض المكونات القبلية للدعوة، تشكلت جبهة معارضة ضمت النخب الإدارية والعسكرية التابعة للسلطة الأغلبية[3]، التي آثرت الجلاء عن مواطن كتامة عقب فشلها في كبح المد الشيعي، تحصينا لهويتها العقدية والتزامها بالمرجعية المالكية[4].

وقد تداخلت في تعثر هذا الاندماج بواعث بنيوية، أبرزها تصادم العصبيات القبلية والنزاع حول مراكز السيادة، فضلا عن التوجس الطبقي من تقويض الامتيازات التقليدية في ظل نظام يعتمد السرية في بنائه العقدي ويصطدم مع الموروث السني السائد؛ إذ استنكفت الزعامات التقليدية الانضواء تحت لواء حركة سلبت فيها أسبقية القيادة لصالح قوى أخرى، مما أدى إلى ممانعة القبائل التي خشيت من فقدان استقلاليتها السياسية وتحولها إلى كيانات تابعة لقوى القبلية المبادرة بالولاء للداعي[5].

---

[1] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، ص52. ينظر: محمود اسماعيل، مرجع السابق، ص62. حسن حافظي العلوي: دراسة عن المذاهب الإسلامية في المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ص94.

[2] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص53. ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص126. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص184. ينظر: موسى لقبال، مرجع السابق، ص243.

[3] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص ص62-63. ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص ص129-131.

[4] لقبال، مرجع السابق، ص ص688-692. موسى لقبال، مرجع السابق، ص ص247-248.

[5] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص62. ينظر: فرحات الدشراوي، خلافة المعز، مرجع السابق، ص ص122-125.

اشتهر أمر أبي عبد الله الشيعي في كتامة وسمي بالمشرقي، لقدومه من المشرق، وتسربت دعوته بين الناس، إلا أن هذه الدعوة لقيت معارضة في بدايتها، فانتشرت إشاعات ضده وضد الحركة الإسماعيلية، وضد أنصاره من بني سكتان، ثم تحولت إلى الضغط على بني سكتان لتسليمه ومناظرته فيما يذهب. وكان موسى بن العباس صاحب مدينة أرسل في طلبه بمناظرة علمائها لما يدعو إليه فرفض بنو سكتان هذا العرض بحجة أن ضيفهم وتمنعهم أعرافهم القبلية من خذلانه،[1] فاستطاعوا التملص منه بهذه الحجة لكي لا يلحقهم العار[1].

والذي يمكننا يفهمه من سياق هذه الأحداث وبالضبط في مرحلة توسع حركة أبي عبد الله الشيعي أن مسألة تسليم بني سكتان لم تكن مجرد إجراء إداري أو قرار بسيط، بل كانت تعبيرا عن اصطفاف سياسي منهم له داخل بنية قبلية مضطربة في بلاد كتامة، فقد ارتبطت بني سكتان تدريجيا بالمشروع الإسماعيلي الذي حمله الداعي بعد أن نجح في استقطاب ولائها عبر الدعوة والتنظيم، مما جعلها تميل إلى حمايته والدفاع عنه بدل تسليمه إلى خصومه من ممثلي السلطة الأغلبية.

وفي ظل هذا التوازن الجديد للقوة، أصبح وجود أبي عبد الله داخل الجبل المنيع يحاضنة اجتماعية قوية، جعلت فكرة تسليمه غير واردة عمليا، بل تعد تهديدا مباشرا لمصالح القبائل المتحالفة معه. وهكذا فإن موقف بني سكتان يعكس تحولا في الولاءات السياسية في المنطقة، حيث تغلب الانتماء للدعوة الناشئة على الاعتبارات المرتبطة بالسلطة المركزية التقليدية.

أظهرت الرعامات المناوئة قبولا صوريا لهذه المساعي، مضمرة في طواياها تدبير حبائل الغدر للافتكاك بالداعي، بيد أنّ أبا عبد الله استشعر خبيئة كيدهم فآثر الاحتجاب، عارسا سياجا من الكتمان حول مقامه لا يخترق إلا خاصة مريديه[2].

[1] سعيدة لوزري، مرجع نفسه، ص131.

[2] ابن عذارى، مصدر نفسه، ص ص127-128. ينظر: النعماني، مصدر نفسه، ص107

ومع جنوح الخصوم للدعة شرارة الصدام الحربي مع بني سكتان الذين استنكروا نقض ميثاق المحالفة وتحوله إلى زحف عسكري يروم الغنيمة المشروعة. وأمام هذا الاستعصاء عاودت الوفود استمالة صقلاب بلسان الوداد، زاعمين أن غايتهم رأب الصدع وحقن الدماء التي سفكت جراء هذه الدعوة التي فرقت بين المرء وزوجه والولد ووالده، واصفين منهج الداعي بالباطنية المريبة التي لو كانت تنطوي على حقٍّ لما استترت بظلمة الكتمان[1].

فاجتمعوا وقرروا أن يمضوا بالعدة ويتظاهرون بأنهم جاؤوا بالعلماء، ولما يظهر لهم يقومون بقتله. ولما رآهم بنو سكتان ثاروا وأرجوا رحالهم وعدتهم، وتقاتل الفريقان وبقي أبو عبد الله متحفيا وذكروا لصقلاب أنهم جاءوا بما اتفقوا معه عليه: "ما هذا بيني وبينكم وإن تجيبونا بالرحف والعدة إنما قمنا يؤتى بالعلماء فيناظرون الرجل، فتراكم جئتونا بالملأ تريدون أن تنزعوه بالغلبة..."[2]، لكنهم لم يفشلوا فأرسلوا إلى صقلاب مرة ثانية، فاعترفوا له بخطئهم، وذكروا له بأنهم قدموه عليهم لبحقن الدماء ويلم الشمل وأن هذا الرجل الذي يقوم بحمايته قد تسبب في العداوة بين القبائل كما عادى من أجله الأخ أخاه والابن أباه والقريب قريبه. وأن هذا الرجل أمره مكتوم والذي يدعو إليه غير معلوم، ولو كان على حق وصواب لأظهر ما كتمه[3].

فوعدهم رئيس قبيلة بني سكتان أن يتخلف في إخراجه، وبدأ بتنفيذ ما وعدهم، فاستشار أبو عبد الله جماعة من المؤمنين (أتباعه) فتحصل على موافقتهم، وانتقل من إيكجان إلى تازرت، هو ومن استطاع من المؤمنين التنقل معه وترك الضعفاء هناك واستقبله بنو غشمان أحسن استقبال[4].

وبعدما كان الداعي ضيفا على بني غشمان، أصبح رئيسا عليهم فاستطاع بدهائه أن يجمع كل من كان ضده، فاعتنق بنو غشمان الدعوة جميعا، وحتى ملوسة وبني سكتان المتمثلة في رئيسها

[1] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص85.

[2] نفسه، 84-85.

[3] القاضي، مرجع سابق، ص118.

[4] سعيدة لوزري، مرجع سابق، ص133.

صقلاب. أما القبائل المعارضة فكانت بينهم وبينهم حروب انتصر فيها أبو عبد الله الشيعي، فدخلوا دعوته. وسقطت مليلة: أول مدينة محصنة بيد الداعي، فهي تتصف تمتاعة بشهادة اليعقوبي[1] الذي قال: " ومدينة مبدة مدينة جميلة، قديمة، عليها سوران من حجارة، حصن دون حصن، وبينهما مجرى الماء الذي يشربونه، وهما فحص عريض يزرع فيه: وهي كثيرة الأنهار والثمار."[2]، ثم سطيف وباقي المناطق الأخرى، فازدادت قوة الداعي باستيلائه على أموال المنهزمين وانتشرت دعوته. وهذا النصر الذي حققه أقدم على بناء قاعدة لدولته الجديدة في تازروت، وسماها بدار الهجرة، حوالي سنة 289هـ/901-902م. اقتدى في ذلك بشيخه ابن حوشب فانظم إلى دعوته الكثيرون لأسباب مختلفة منهم من هو صادق ومنهم من انضموا كانت نواياه القضاء على العدو القديم، أو التشفي، أو الحصول على مناصب في الدولة الجديدة[3].

إن ما يمكننا قوله أن نجاح أبا عبد الله الشيعي في بلاد المغرب، لم يكن وليد ظرف عابر، بل نتيجة تخطيط دعوي محكم واستثمار دقيق للواقع القبلي والسياسي في منطقة كتامة، حيث استطاع أن يحول الدعوة الإسماعيلية من نشاط سري محدود إلى حركة منظمة ذات بعد عسكري وسياسي. فقد نجح في كسب ولاء القبائل، وتوحيد صفوفها، وتوجيهها نحو هدف إسقاط الدولة الأغلبية، مستفيدا من ضعفها الداخلي وتفككها. ومع توالي الانتصارات، تمكن من دخول القيروان سنة 909م، معلنا نهاية حكم الأغالبة، ومهدا الطريق لقدوم عبيد الله المهدي الذي أعلن خلافته ومؤسسا للدولة الفاطمية. وهكذا شكلت جهود أبي عبد الله الشيعي المرحلة التأسيسية الحاسمة لقيام الدولة الفاطمية في المغرب، حيث انتقلت الدعوة من طور التبشير إلى طور الدولة، في تحول تاريخي غير ملامح المنطقة سياسيا ومذهبيا.

---

[1] سعيدة لوزري، مرجع نفسه، ص133.

[2] اليعقوبي، المصدر نفسه، ص107. وجات سدروس، مرجع السابق ص118.

[3] سعيدة لوزري، مرجع نفسه، ص133.

كما نجح في إعداد الأرضية السياسية والعسكرية والعقدية لقدوم عبيد الله المهدي، فقد أفضت انتصاراته على الدولة الأغلبية وتوحيده لقبائل كتامة إلى خلق كيان قوي ومستقر، مكّن المهدي من الظهور العلني وتسلّم مقاليد الحكم سنة 910م. وبذلك انتقلت الدعوة الإسماعيلية من مرحلة السرية والتنظيم الدعوي إلى مرحلة الدولة والخلافة، ليكون قيام الدولة الفاطمية تتويجا لمرحلة طويلة من العمل المنظم الذي مهد لظهور الإمام المهدي وترسيخ سلطته في بلاد المغرب.

2-سياسات التحول المذهبي في المغرب الأوسط في العهد الفاطمي

إن السياسات التي انتهجها الفاطميون في المغرب لم تكن مجرد محاولات عابرة لنشر مذهب ديني، بل شكّلت مشروعا متكاملا استهدف إعادة صياغة الواقع الديني والسياسي بما يخدم شرعية الدولة الجديدة. فقد عملت القيادة الفاطمية، منذ عهد عبيد الله المهدي، على ترسيخ التشيع الإسماعيلي عبر أدوات متعددة: شملت الدعوة المنظمة، واستغلال الولايات القبلية، وإحكام السيطرة على المجالين الديني والإداري.

غير أن هذه السياسات، رغم ما حققته من نجاح نسبي في بعض المناطق، اصطدمت بواقع مذهبي راسخ، خاصة مع قوة حضور المذهب المالكي وتمسك السكان بعقيدتهم السنية، مما جعل عملية فرض التشيع تواجه مقاومة مستمرة. وبذلك، فإن تجربة الفاطميين في المغرب تكشف عن جدلية معقدة بين السلطة والعقيدة، حيث لم يكن الانتشار المذهبي نتيجة الإكراه وحده، بل تداخلت فيه عوامل سياسية واجتماعية وثقافية أسهمت في تحديد مآلاته[1].

شكّلت المسيرة العسكرية لأبو عبد الله الشيعي عنصرا حاسما في قيام الدولة الفاطمية، إذ لم تقتصر جهوده على نشر الدعوة الإسماعيلية بين قبائل كتامة، بل سعى إلى تحويل هذا الولاء العقائدي إلى قوة عسكرية منظمة. فقد عمل منذ استقراره بينهم على إعدادهم نفسيا وقتاليا، معتمدا على روح

[1] المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ج1، ص ص88-102.

العصبية القبلية والانضباط[1]، فكون نواة جيش متماسك قادر على خوض المواجهة ضد السلطة الأغلبية التي كانت تعاني من الضعف والتفكك الداخلي[2].

وقد اتسمت تحركاته العسكرية بالتدرج والحنكة: حيث بدأ بالسيطرة على المناطق الجبلية التي توفر الحماية الطبيعية، ثم توسع تدريجيا نحو الحواضر، مستفيدا من معرفته الجيدة بطبيعة البلاد ومن دعم الكتاميين له. كما اعتمد على أساليب حربية مرنة كحرب الكر والفر واستنزاف الخصم، مع الحرص على كسب الأنصار في كل مرحلة، مما ساهم في توسيع دائرة نفوذه وإضعاف خصومه دون مواجهة مباشرة حاسمة في البداية[3].

سافر أبو عبد الله الشيعي مهما فنزل أبي عبد الله الأندلسي: أحد المتشيعين على يد الحلواني وأبي سفيان، وكان دخول أبي عبد الله الشيعي إلى كتامة سنة 280هـ/893م[4]: « يكف الداعي عن سؤال الكتاميين، فقد سألهم عن فج الأخبار فدهشوا منه كأنه يعلم ذلك فقالوا له أنه عند بني سكتان[5]، وتابع سيره معهم حتى وصلوا إلى فج الأخبار فقال لهم: هذا فج الأخبار" فاندهشوا جميعا سألوا أنفسهم كيف عرفه وهم لم يدلوه عليه؟ فقال لهم: "إن للمهدي هجرة تنبو عن الأوطان في زمان محنة وافتتان ينصره فيها الأخبار من أهل الزمان قوم مشتق اسمهم من الكتمان[6] فأنتم هم كتامة، وبخروجكم من هذا الفج يسمى فج الأخبار"[7]، فاجتمع إليه أكثر الكتاميين واستطاع بدهائه أن

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص167، 188.

[2] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص36.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص240-245.

[4] حسن حافظي علوي، **المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب من التعدد إلى الوحدة**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1429هـ/2008م، ص94 بعده ثورة مستعلية ومرجون عند افتتاح. انظر: السياسة الدينية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص35.

[5] القاضي النعمان، افتتاح، المصدر السابق، ص47.

[6] نفسه، ص48. وانظر ابن خلدون، العبر، ج2، ص211.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص213.

يسيطر على كتامة ثم بدأ بتكوين المجتمع الذي سيكون فيما بعد مركز انطلاق لنشر دعوته في جميع الأنحاء[1].

مفاد هذا الكلام أن الداعي كان يقدم صورة خاصة عن الامام أنّه مخيط بأحوال دعوته وأتباعه، وهذا الطرح يدخل ضمن التصور العقدي للإمامة عند الإسماعيلية، وأنّ الإمام المهدي، ليس مجرد قائد سياسي ينتظر الأحداث، بل هو محور مشروع ديني–سياسي يملك رؤية شاملة لمسار الدعوة ويهيئ أتباعه نفسيا وتنظيميا لمرحلة قيامها.

تمكّن أبو عبد الله الشيعي من تحويل قبائل كتامة إلى قوة عسكرية منظمة عبر عملية تدريجية جمعت بين الدعوة والتنظيم والتأهيل القتالي. ثم انتقل إلى مرحلة التنظيم العسكري مع استغلال الطبيعة الجبلية لمناطق كتامة لتدريبهم على حرب العصابات والكمائن[2].

كما عمل على توفير القيادة الميدانية وتوزيع المهام بين القادة المخلصين، فحوّل العصبية القبلية المتفرقة إلى قوة موحدة ذات هدف مشترك. وبمرور الوقت، اكتسب الكتاميون خبرة قتالية كبيرة جعلتهم العمود الفقري للجيش الذي خاض المعارك الحاسمة وأسقط دولة الأغالبة، مما مهد الطريق لقيام الدولة الفاطمية.

لقد سطر أبو عبد الله الشيعي فصلاً ختاميا لدولة الأغلبية بسلسلة من الانتصارات الخاطفة؛ بادر بمراسلة عبيد الله المهدي في محبسه ليبشره بدنو النصر، ثم اندفع كالسيل يسقط الحصون الأغلبية الواحد تلو الاخر[3]، وبلغت هذه الملاحم ذروتها عام 296هـ حين زحف الداعي بجيش يخب قوامه

---

[1] سعيد غازي، مرجع السابق، ص130.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص144–148. ينظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص235–240.

[3] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص198.

مائة ألف مقاتل، لبدك معاقل إبراهيم بن الأغلب في قمودة[1] معقل الاغالبة، وأمام هذا الانهيار العسكري، آثر زياد الله الفرار إلى مصر، في حين فشلت محاولات إبراهيم بن الأغلب في استمالة الرعية التي ثارت، مما مهد الطريق لدخول الداعي مدينة رقادة[2] الفاخرة بأسوارها وقصورها العجيبة التي بناها إبراهيم بن أحمد، حيث استقبل أهالي القيروان بالأمان والاستبشار، معنا بذلك قيام سلطة جديدة من قلب القصور الأغلبية[3].

توجه أبو عبد الشيعي إلى سجلماسة سنة 296هـ/909م لإخراج عبيد الله المهدي فاستولى على تاهرت، وقد ذكرت بعض المصادر أسباب سقوطها، منها المشاكل الداخلية التي حلت بالأسرة الرستمية نفسها في عهد الإمام الرابع أبي بكر بن أفلح (258هـ/261هـ)[4]. إلا أنهم لم يستطيعوا مواجهة هذه الأخطار وقد عمرها الصراع المذهبي في عصري عبد الوهاب وأفلح، كما اتسع نشاط حركة التوسع في إفريقية التي بدأت تلوح من بعيد ضد مدن الزاب، وكتامة الأغلبية[5]كذلك التفكك الأسري ومن مخلفاته تآمر دواسر مع أبي عبد الله الشيعي[6] فلم تستطع الدولة ـ الشمل والدفاع عن

---

[1] مدينة تقع جنوب القيروان، ويذكر الإدريسي على دورها كمحطة رئيسية في مسالك حضرية، حيث ذكرها في سياق الطرق التي تربط بين القيروان وسبيطلة. الإدريسي، مصدر نفسه، ص213.

[2] مدينة رقادة: كانت دار ملك بني الأغلب، وهي على أربعة أميال من القيروان، شادها إبراهيم بن أحمد سنة ثلاث وستين ومائتين، وبنى فيها القصور العجيبة والجوامع والأسواق والحمامات. المالكي، مصدر نفسه، ص27.

[3] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس ومغرب، دار الفكر الإسلامي، ط2، بيروت، 1999م، ص ص222-226. بشير محمود سعداوي، المرجع نفسه، ص265.

[4] هو أبو بكر بن أفلح بن عبد الوهاب الرستمي (حكم 258-261هـ / 871-874م) رابع أئمة الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط (جزائر حالياً). تولى الإمامة بعد وفاة والده أفلح، وتميز عهده بالتركيز على الترف والاقتصاد بالزخرفة. لكنه شهد ضعفاً بسبب وفاة أخيه الذي تنازع على الحكم وأخيه أبي اليقظان. أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني: طبقات المشايخ في المغرب، دار الفكر الإسلامي، بيروت، 1989، ج1، ص156. ابن عذاري المراكشي، مصدر سابق، ج1، ص197

[5] بشير إسماعيل سعداوي، ت 872هـ/1488م، ص234. الطبني، مرجع نفسه، ص654.

[6] تآمرت دواسر مع أبي عبد الله الشيعي، ما يقال أن حاكم يوسف علي بن أخيه اليقظان، الذي أخذ الإمامة دون حق شرعي، لما جعل أبناء أخيه يسكنون دور مدينة تيارت والاتفاق معه الأمر. الدرجيني، مصدر نفسه، ج1، ص94. أبو زكريا،

سلطتها، وما تميز به المجتمع التاهرتي عن باقي المدن أنه مزيج من القبائل والأجناس والمذاهب وهؤلاء ليس لدولة ولاء عليهم، فلا تستطيع بزعامتهم على الدفاع عنها، ولا يهمهم مصير الإمامة لأنها ليست من مبادئهم، كما أنهم لا يفكرون في المقاومة والتضحية من أجل المصلحة العامة. أما المنتمون إليها فقد ذهب خيرة الرجال في الفتن والثورات الداخلية ضد قرشات مغراوة وبني يفرن الزناتية[1].

دخل أبو عبد الله الشيعي إلى تاهرت بعد سلسلة من التحركات العسكرية والسياسية التي مهدت لها دعوته بين قبائل كتامة، مستفيدا من حالة الضعف والتنازع الداخلي داخل الدولة الرستمية، حيث تشير المصادر إلى أن بعض أعوان الأمير انقلبوا عليه خاصة تلك المذاهب التي كانت مناوئة للمذهب الاباضي ؛ ما سهل انهيار المقاومة داخل المدينة وسقوطها في يد قوات أبي عبد الله سنة 296هـ/909م، وبذلك انتهى الحكم الرستمي الإباضي في المغرب الأوسط.

وبعد هذا النصر الحاسم تم تمهيد الطريق لالتحاق الإمام عبيد الله المهدي[2] وابنه القائم بأمر الله[3] الذين كان متجهين إلى سجلماسة[1] معقل الدولة الفاطمية لتأسيس الدولة الفاطمية، ليعلن

E. provencal, art, نفس السابق، ص169. محمود إسماعيل، مرجع السابق، ص231. وانظر أيضا: "**Rustumides**" dans Encyclopedie de l'islam, T, III, p657.

[1] سعيدة لوزاني، مرجع السابق، ص ص138-139.

[2] هو أبو محمد عبيد الله بن عبد الله (المعروف بـ سعيد بن الحسين بن الميمون)، ولد في مدينة سلمية بسوريا عام 259هـ/873م، وينسب في مصادر الفاطمية (ككتاب افتتاح الدعوة لمقضي النعمان، ص 240) إلى عبد الله إسماعيل بن جعفر الصادق، وصولا إلى علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنهم. حاكم رحلة تاريخية منحدرة نشأ في الشام ثم من ملاحقة العباسيين، مرورا بمصر، وصولا إلى أقصى المغرب حيث سجن في سجلماسة القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص240. الحافظ المنتقد، ج1، ص101 ومن بعدها. ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص453. مشعلي عائشة: تاريخ الدعوة الإسلامية في أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بسوريا، 1953م، ص101 وما بعدها.

[3] هو أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي عرف القائم بأمر الله، ولد بسلمية عام 280هـ، رافق والده في رحلة التأسيس لدولة الشرق في المغرب، وقد أقامي إلى وصف صعوبات العسكرية التي تجاوزت حدود المغرب، إذ قاد بنفسه حملات لتكريس نفوذ مصر عامي 302هـ و307هـ، تحولا استراتيجيا من سجلماسة نحو عقود من مكنى فيها، وبعد توليه الخلافة سنة 322هـ واجه أخطر التحديات التي هددت وجود الدولة، وهي ثورة أبي يزيد مخلد الحمار، حيث أظهر ثباتا في الدفاع عن المهدية حتى وافته المنية سنة 334هـ والخراب في وجهها من حصونه في تاريخه، ج 7، ص 463 ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 115 ؛ المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، ت 845هـ/1442م، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج

لاحقا قيام الخلافة الفاطمية باعتباره "المهدي" عند أتباعه، وبذلك ارتبط سقوط تاهرت بظهور القائم الفاطمي الذي انتقل من مرحلة الدعوة السرية إلى إعلان الدولة رسميا، في تحول سياسي ومذهبي كبير غير موازين القوة في المغرب الإسلامي[1].

وخلاصة القول أن أمر الدولة الفاطمية بعد نجاح أبي عبد الله الشيعي في توحيد كتامة وإسقاط الدولة الرستمية، ثم وصول عبيد الله المهدي وإعلان الخلافة سنة 297هـ/909م، فانتقلت الدعوة من السرية إلى دولة مركزية قوية فرضت سلطتها في المغرب الإسلامي ووضعت أسس حكم جديد غير التوازن السياسي والمذهبي في المنطقة.

ثانيا: معارضة المالكية للتشيع الفاطمي في المغرب الأوسط

واجه التشيع الفاطمي في المغرب الإسلامي معارضة قوية من فقهاء المالكية الذين كانوا يمثلون التيار الديني السائد في القيروان وما حولها، إذ نظروا إلى الدعوة الفاطمية باعتبارها خروجا عن المذهب السني المالكي ومحاولة لفرض مذهب جديد يرتبط بالشرعية السياسية للدولة، فبرزت مواقف علمية ودينية رافضة لهذا التوجه من خلال الدروس والفتاوى والتأليف العامة، كما ساهمت مكانة المالكية في المجتمع القيرواني في الحد من انتشار التشيع رغم السيطرة السياسية للفاطميين، مما جعل العلاقة بين الطرفين قائمة على التوتر المستمر بين السلطة السياسية الجديدة والمرجعية الفقهية التقليدية.

---

[1] سجلماسة مدينة حية في ركن من أركان المغرب، وهي صغر مقصود، ومرفأ لمغرب والشرق قديما، ومنها خرج العوفي إلى بلاد السودان... وأهلها بربر، وهم مرتزقة وتجار، بها ضرب الدنانير التي تعرف بالسجلماسية أسست سنة 140هـ/757م. انظر: ابن حوقل، المسالك والممالك، ص85. البكري، مصدر السابق، ج2، ص758.

[2] ابن خلدون، مصدر السابق، ج6، ص ص131-140. ابن الأثير، مصدر سابق، ج8، ص ص90-110.

1 – محنة الفقهاء المالكية في ظل التشيع الفاطمي:

تعرض فقهاء المالكية في بداية الحكم الفاطمي لما يعرف في بعض المصادر بـ"المحنة"، حيث ضيق عليهم بسبب مواقفهم الرافضة للتشيع الفاطمي وعدم اعترافهم بشرعية الدولة الجديدة، ففرضت عليهم قيود في التعليم والقضاء، وأُبعد بعضهم عن مراكز التأثير، مما دفع عددا منهم إلى الهجرة نحو مناطق أكثر أمانا مثل الأندلس والمغرب الأقصى، بحثا عن حرية التدريس ونشر المذهب المالكي، وقد كان لهذه الهجرة أثر واضح في إضعاف الحركة العلمية في القيروان مؤقتا، لكنها في المقابل ساهمت في انتشار المذهب المالكي خارج نطاقه الأصلي وتعزيز حضوره في مناطق جديدة.

لقي فقهاء القيروان من الفاطميين شتى أنواع التعذيب والتنكيل والقتل، مما لم يشهده غيرهم لذلك اختار بعضهم الفرار خوفا على دينهم وسنتهم من عساكر الشيعة، فالفقيه أحمد بن الفتح تاهرتي ويعرف بالبراز[1] مالكي تولى قضاء تاهرت ثم اللبلة، فر إلى قرطبة خوفا من الشيعة، التي كانت تلاحق فقهاء السنة في كل مكان، فأجاره عبد الرحمن الناصر (325-350هـ/937-961م) حاكم الأندلس وجعله قاضيا على ناحيته. وأحمد بن أبي عون الوهراني[2] فقيه وقاضي مدينة وهران رحل إلى الأندلس سنة 341هـ/952م[3]. وسعيد بن خلف الجزائي[1]، فقيه ومحدث على مذهب

---

[1] هو أحمد بن أبي الفتح، أبو جعفر تاهرتي، كان فقيها محدثا، من كبار علماء المالكية في تاهرت، عرف بصلاته في بعثة ومواجهته بمذاهب الأخرى (الإباضية والشيعة)، انتقل بعد اضطراب أحوال تاهرت إلى القيروان ثم إلى الأندلس وتوفي بالمرية سنة 332هـ/943م، أبو العرب، المصدر السابق، ص221. القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص193-194. المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج2، ص67. عبد الوهاب بن منصور، **أعلام بالمغرب العربي**، مطبعة المكتبة، الرباط، 1399هـ/1979م، ج2، ص287.

[2] هو أحمد بن محمد بن أبي عون، أبو جعفر الوهراني، فقيه مالكي، محدث، وأديب، عرف بتبحره في الفقه بمدينة، وكان من وجوه التي ساهمت في نقل مدرسة القيروان الفقهية إلى الأندلس ت334. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، المصدر السابق، ص142. القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص193.

[3] محمد مابلن، مرجع سابق، ج1، 84. عادل النويهض، مرجع السابق، ص347.

الإمام مالك، رحل إلى المشرق، وآخرون ومنهم من اختار الرحلة طلبا للعلم، ومن الفقيه إبراهيم بن عبد الرحمن التنسي (ت 378هـ/997م) الذي دخل قرطبة هاربا من الشيعة، والفقيه قاسم بن يونس الضبي الجزائري (ت 370هـ/1000م)، ومن تاهرت الفقيه زكريا بن أحمد العساني (ت 393هـ/1003م) وحسين بن سلمون وغيرهم[2].

وفي ختام هذه الرحلة التاريخية، يتبين أن محنة فقهاء المالكية في ظل الحكم الفاطمي لم تكن مجرد حادث عابر، بل شكّلت منعطفًا عميق الأثر في مسار الحياة العلمية بالمغرب الإسلامي، إذ أدت سياسة التضييق والملاحقة إلى تراجع ملحوظ في النشاط العلمي داخل القيروان، التي كانت تمثل أحد أهم مراكز الإشعاع الفقهي في العالم الإسلامي، حيث خفت وهج الدروس وتقلصت حلقات التعليم، وفقدت المدينة شيئا من مكانتها العلمية التي عرفت بها[3].

وفي المقابل، دفعت هذه الظروف عددا كبيرا من العلماء إلى الهجرة نحو الأندلس والمغرب الأقصى، حاملين معهم معارفهم وتقاليدهم العلمية، فأسهموا في نقل مركز الثقل العلمي إلى تلك الأقاليم، حيث نشطت حركة التأليف والتدريس، وازدهر المذهب المالكي بشكل لافت، مدعوما باستقرار سياسي ورعاية علمية أفضل. وهكذا، فإن ما بدا في ظاهره تراجعا وانكماشا في موطنه الأصلي، تحول في حقيقته إلى عامل انتشار واتساع، أعاد تشكيل الخريطة العلمية في الغرب الإسلامي، وجعل من الهجرة وسيلة لإعادة إنتاج العلم وبثه في آفاق أرحب.

---

[1] هو سعيد بن خلف الجوزي، عُدّ من كبار الفقهاء المالكيين من جزيرة شلطة وإليها رحل إلى المشرق، ثم دخل بعلاد مصمع من أبي بكر الأهري(289هـ-375). نفسه، ص348.

[2] سعيدة لزرق، المرجع السابق، ص ص147-148.

[3] أبو لعرب، المصدر السابق، ص ص288-302. ينظر: المقري، المصدر السابق، ص ص07-70.

2- المقاومة الفكرية:

برزت ملامح مقاومة فكرية قادها فقهاء المالكية في القيروان وغيرها، تمثلت في التمسك بالمرجعية السنية، وتعزيز التدريس والتأليف، والرد على الدعوة الفاطمية بأساليب علمية وفقهية، دون الانخراط المباشر في الصراع السياسي. وقد شكّلت هذه المقاومة تعبيرا عن وعي علمي جماعي سعى إلى حماية الهوية المذهبية للمجتمع، وأسهم في الحد من انتشار التشيع رغم دعم السلطة له، مما مهد لاستمرار المذهب المالكي وهيمنته في المغرب الإسلامي على المدى البعيد.

كما شهدت الخريطة الثقافية للمغرب الأوسط تحولا دراماتيكيا بين القرنين الثالث والرابع الهجريين؛ فبعد أن كان المذهب الإباضي هو المهيمن على المشهد الفكري، انتقل الخط الأوفر في التأليف والنشاط العلمي لصالح المذهب المالكي في ظل الهيمنة الشيعية على المجالين السياسي والديني، وهو تحول ترجعه الدراسات الحديثة إلى حركية العمران مثل مدينة أشير[1].

- **فقهاء هذه المقاومة:**

أحمد بن قاسم التهرتي(ت 395هـ/1015م): هو أحمد بن قاسم بن عبد الرحمان بن عبد الله بن محمد التميمي التاهرتي البزاز، محدث ، وحافظ، من الزهاد، رحل إلى الأندلس مع أبيه سنة 317هـ، سمع من أبي الديلم والقاسم ابن أصبغ، ووهب بن مسرة، ومحمد بن معوية القرشي، قال عنه ابن عبد

---

[1] ذكر ابن خلدون عنها: "شرع في بنائها زيري سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (334هـ)... وبنى بها أهل تاهرت وأسيفة، فصارت دار ملك ومجمع قوم". وزاد الإدريسي: "أشير مدينة كبيرة، كثيرة الزرع والخيرات، وبها أسواق قائمة، وهي في جبل منيع مشرف على بطن". ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص203. الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص257. وينظر: عبد الحميد حادي: الحياة العلمية ببجاية الحمادية وأثرها في الحضارة الإسلامية، ضمن محاضرات ملتقى 08-09 الجزائر، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، 1420هـ/1999م، ص179-181-182-197. العقبي، المرجع السابق، ص137.

الجزء" وكان ثقة فاضلا اختص بالقاضي منذر بن سعيد، وسمع منه تواليفه كلها، وقد لقيته وسمعت كثيرا منه ، وقال عنه الخولاني، كان شيخا صالحا زاهدا في الدنيا، منقبضا عن الناس..."[1]

أحمد بن علي(345-401هـ/956-1011م): هو أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الربعي الباغاني من بلدة باغاية الجزائرية الواقعة بمنطقة الأوراس وهو مقرئ وفقيه جزائري، رحل إلى المشرق طلبا للعلم فأخذ عن شيوخ كثيرين منهم أمثال: أبو الطيب بن غلبون وأبو بكر الأدفوي[2].

دخل الأندلس عام 376 هـ، فتصدر للإقراء بالمسجد الجامع بقرطبة واستدعاه المنصور بن أبي عامر ليؤدب ولده عبد الرحمن ثم عتب عليه فأبعده. ولما آل الحكم للمؤيد بالله هشام بن الحكم في دولته الثانية رفاه إلى حظة المشورى بقرطبة مكان أبي عمر الإشبيلي الفقيه وهو يظن به البقاء في هذا المنصب إذ وافاه أجله بعد سنة3. قال عنه ابن بشكوال: " ان من أهل الحفظ والعلم والذكاء والفهم، وكان في حفظه آية من آيات الله وكان بحرا من بحور العلم، وكان لا نظير له في علم القرآن قراءاته وإعرابه وأحكامه، وناسخه ومنسوخه"[4].

أحمد بن نصر الداودي: هو أحمد بن نصر الداودي الاسدي التلمساني، أبو جعفر ،عالم من أئمة المالكية بالمغرب في عصره، أصله من المسيلة، وقيل: من بسكرة، أقام بطرابلس الغرب مدة طلب للعلم ثم انتقل إلى تلمسان واستقر بها إلى حين وفاته. وهو أول من شرح كتاب صحيح البخاري[5]. عده ابن فرحون من أهل الطبقة السابعة وقال : « كان فقيها فاضلا ، عالما متفننا، مؤلفا مجيدا ، له حظ من اللسان والحديث والنظر، وكان درسه وحده، لم يتفقه في أكثر علمه على إمام مشهور وإنما

---

[1] ابن بشكوال، تكملة الصلة، ج1، ص84. ينظر: ابن عساكر الخشني، المعجم الصلة، ج1، ص145. الزبيدي، المعجم ج1، ص207

[2] الخولاني، مرجع السابق، ج1، ص271.

[3] ابن فرحون، المعجم السابق، ج1، ص174.

[4] ابن بشكوال، المعجم السابق، القسم الأول، ص85. ينظر: الضبي، المعجم الصلة، ج1، ص325.

[5] الخولاني، مرجع السابق، ج1، 301.

وصل بإدراكه[1] » . من آثاره (الامواز) في أحكام أموال الغنائم والاراضي التي يتغلب عليها المسلمون، محفوظ في دار الكتب المصرية ، و « الشامي » شرح المبسوط –مالك، كتبه وهو في طرابلس الغرب ، و « الواعي » في الفقه، و (الايضاح » في الرد على القدرية، و (التصبحة) شرح لتصحيح البخاري ، قيل هو من أجل كتبه. توفي بتلمسان ودفن شرقي باب العقبة. توفي سنة 402 هـ[2].

مروان البوني: هو مروان بن علي الأسدي القطان، فقيه ومفسر وحافظ، أصله من اسبته، هاجر إلى بونة وبها نشأ، أقام مدة بقرطبة وروى عن مشائخها، ثم رحل إلى المشرق، وعاد إلى عنابة فكلف على التدريس والتأليف حتى مات بها استقر في بونة وأخذ علمه عن الفقيه أحمد بن نصر الداودي، له تأليف في شرح الموطأ، وفي محمد بن عتاب فيه زيادات[3].

أبو عبد الله المازري: هو أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج المازري، من سكنوا قلعة بني حماد، تفقه عنه أبو الفضل بن النحوي، له تأليف في علوم القرآن، وكتاب سماه "الاستبلاء" وله تعليق كبير في المذهب المالكي)[4].

فضل بن سلمة: ابن جرير بن منحل الجهني (ت 319هـ/931م)، أصله من البيرة وسكن ببجاية، له "مختصر المدونة" و"مختصر الواضحة" وأضاف فيه فقهه، وعقب على ابن حبيب، له كذلك "مختصر كتاب ابن المواز" وكتاب جمع فيه "مسائل المدونة والمستخرجة" وله "الجزء من الوثائق ، ألف كتاب "الطبقات" فيمن روى عن مالك وأتباعه، ونقل عنه القاضي عياض في كتابه "الترتيب المدارك" الكثير، والفقيه علاء بن محمد (ت 347هـ/958م) من أهل تدمير بالأندلس،

---

[1] بن فرحون ، الديباج، مصدر نفسه، ص35.

[2] بن مادة، معلوف، مرجع نفسه، ص342.

[3] أبو الفدا إسماعيل بن علي بن محمد بن عمر صاحب حماه، ت 732هـ-1331م: تقويم البلدان، مكتبة المثنى، بغداد، دار الكتاب العربي، لبناني، 1840م، ص 122. ابن خلدون، مصدر نفسه، ج6، ص 133 وما بعدها. تحبوب، المصدر نفسه، ص111-111.بوشيش، مرجع نفسه، ص52.

[4] سعيدة لوزري، مرجع نفسه، ص155.

سكن مدينة بونة بالمغرب الأوسط، له رحل إلى مصر سمع فيها من جعفر بن عبد السلام البزاز، سكن مدينة بونة بالمغرب الأوسط، له رحلة إلى مصر سمع فيها من جعفر بن عبد السلام البزاز، وبإفريقية وتونس من أبي البشر التونسي وفي القيروان من أبي بكر بن السادة، وله العديد من الكتب[1].

وعلى الرغم من التضييق الذي مارسه العبيديون في إطار سعيهم إلى ترسيخ التشيع[2]، فإن ذلك لم يؤدِّ إلى انطفاء الحياة الفكرية، بل أسهم في إعادة تشكلها بصورة أكثر مرونة واستمرارا، إذ حافظ فقهاء المالكية على نشاطهم العلمي عبر حلقات محدودة وانتقال المعرفة شفهيا وكتابيا.

كما دعمت شبكات الرحلة في طلب العلم هذا الحضور، فانتقلت الخبرات بين الحواضر والبوادي، فأدى إلى تلاقح الأفكار، ولم تنقطع صلة العلماء بالإنتاج والتدريس، وقد أفرز هذا الوضع نوعا من التوازن بين ضغط السلطة واستمرارية الفعل العلمي، مما جعل الحياة الفكرية، رغم القيود، تعرف حركية ملحوظة وتماسكا مكّنها من الاستمرار، بل وتحقيق قدر من الازدهار النسبي داخل بلاد المغرب الأوسط.

ثالثا: سياسات الدولة الفاطمية تجاه المالكية وانعكاساتها في المغرب الأوسط

اعتمدت الدولة الفاطمية في المغرب الأوسط على جملة من السياسات لترسيخ حكمها، حيث ارتبطت السياسة الإدارية ارتباطا وثيقا بالجانب المالي، إذ كانت منوطة بتنظيم الجباية وجمع الأموال وتوجيهها نحو الخزينة المركزية والإمام[3]، بما يضمن تمويل الجيش والدعوة وضبط الأقاليم عبر الولاة، إلى جانب السياسة الدينية التي هدفت إلى نشر التشيع الإسماعيلي عبر الدعوة والخطبة

[1] نفسه، ص153.

[2] لطفاني، مرجع سابق، ص162.

[3] لطفاني، العمران، مصدر سابق، ص173.

والتعليم، وربط المغرب بالمشرق، مما أسهم في تثبيت سلطة الدولة وإعادة تشكيل البنية السياسية والمذهبية في المنطقة.

1- السياسة الادارية :

شهدت فترات الحكم الفاطمي في المغرب الأوسط معاناة ملحوظة لدى العامة نتيجة تشديد الدولة في جمع الأموال وتوسيع الجباية، حيث فرضت على السكان أعباء مالية في ظل حاجة الدولة المستمرة لتمويل الجيش وترسيخ سلطتها السياسية والدعوية، وفي المقابل حاول الفكر الإسماعيلي الفاطمي إضفاء طابع ديني على هذه الالتزامات المالية، فاعتبرت الصدقات والأموال المقدمة جزءا من الواجبات الشرعية المرتبطة بطاعة الإمام، الذي تُجعل طاعته في نظرهم امتدادا لطاعة النبي صلى الله عليه وسلم من حيث الالتزام الديني والشرعي. وقد أدى هذا التوظيف الديني للجباية إلى خلق توتر بين الواقع الاجتماعي المثقل بالضرائب والخطاب المذهبي المبرر لها، مما عمق من معاناة العامة وأثار حساسيات واسعة داخل المجتمع[1].

كما جعلوا هذه الصدقات محرمة على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وعلى أهل بيته خاصة، وحلال لسائر المسلمين، حتى ولو كانوا من أهل البيت فقيرا أو مسكينا أو عاملا على الصدقة أو من المؤلفة قلوبهم أو غارما أو ابن السبيل أو مجاهدا، فقد جعلهم الله أمناء على قبض الصدقات من أهلها، وأن الله عوض الرسول –صلى الله عليه وسلم– والأئمة من أهل البيت من بعده بالخمس فاعتمدوا في ذلك على قوله تعالى: ﴿**واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن الله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل...**﴾[2]، ولقول جعفر الصادق في ذلك: الخمس لنا أهل البيت ليس للناس معنا فيه شيء شركناهم في أربعة أخماس الغنائم فيما شهدناه

[1] أبو الربيع عماد الدين، المصدر السابق، ص243.

[2] سورة الأنفال، الآية 41.

معهم والخمس لنا دونهم عطى منه يتامانا وفقرائنا ومساكيننا وابن سبيلنا وليس لهم ولا لنا في الصدقات شيء"[1].

ادعت الدولة العبيدية عند جمعها للأموال أنّ ما يؤخذ من الرعايا يدخل في إطار الواجبات الشرعية المرتبطة بطاعة الإمام، فصورت الضرائب والجبايات على أنها جزء من الصدقات الواجبة في نظرها، وأن طاعة الإمام امتداد لطاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وبذلك منحت إجراءاتها المالية غطاء دينيا يبرر جمع الأموال ويضفي عليها صبغة دينية، رغم ما كان يرافق ذلك من ثقل على العامة.

سيطر الداعي أبو عبد الله الشيعي على إقليم الزاب شرق المغرب ونزل مدينة طبنة سنة 293هـ/905م[2]، وهذا لكي يسهل دخول الامام إلى رقادة، ومن ثم يتسنى له التوسع في بلاد المغرب، ويعم التشيع جميع أركانه.

وبعد طبنة فقد حالف أبا عبد الله الشيعي انتصاراته الكثيرة، والذي ساعده هو الانقسام والدسائس في البيت الأغلبي، وتأييد الناس له، خاصة قبيلة كتامةالتي استفادت من السياسة المالية المتعسفة والتي استمرت حتى بعد قيام الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب. إلا أن المعز لدين الله الفاطمي لما قرر العودة إلى المشرق أرسل أحد الصنهاجية ليحرضهم بقوارهن وكان رد شيخ كتامة بالرفض إذ أنهم يرون أنهم هم الذين فتحوا المغرب بسيوفهم وسوف يفتحون المشرق أيضا. كما أعفى من كتامة الذين قدموا خدمات للدولة خوفا من زوال مناصبهم التي تحت رئاستهم كأبي القاسم الطبني. كما أعفى الأستاذ جودر من الضرائب رغم ترائه[3].

اتسمت السياسة المالية لعبيد الله المهدي في المغرب الأوسط والمغرب الأقصى بالصرامة والمركزية، فمنذ خروجه من سجلماسة عام 297هـ مرارا بتاهرت وكتامة، عمد إلى مصادرة الأموال من أيدي الدعاة

[1] سعيدة لوزري، مرجع نفسه، ص169.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص141. وينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص323.

[3] سعيدة لوزري، مرجع السابق، ص ص170-171.

والمشايخ لإحكام قبضته، مما أثار حفيظة النخبة التي اعتادت نفوذ "أبي عبد الله الشيعي"، وامتدت هذه الضغوط لتشمل فقهاء القيروان الذين واجه إعراضا منه عند طلبهم الأمان على أموالهم، حيث انتهج الفاطميون نظاما ماليا توسعيا قام على التغريم، والمصادرة، وفرض الضرائب غير المباشرة ووصل بهم الأمر على أنهم ربطوا طريق الحج بدفع المغارم، وهي إجراءات قاسية مست فئات واسعة من المجتمع وكان لها دور مباشر في تأجيج سخط "أبي يزيد مخلد بن كيداد" والذي توجته العنيفة ضد الحكم العبيدي[1].

ورغم شدة الضغوط التي واجهها فقهاء المالكية في ظل الحكم الفاطمي، فإنهم أظهروا قدرة على التكتل والتنسيق فيما بينهم لمواجهة سياسة التشيع، بل إن بعضهم تجاوز حدود الخلاف المذهبي فحدث نوع من التقارب الظرفي مع بعض الاتجاهات المعارضة الأخرى، ومنها النكارية بزعامة مخلد بن كيداد[2]، حيث جمعهم رفض الهيمنة السياسية والمذهبية للدولة الفاطمية، فشكل هذا التقاطع غير المألوف صورة من صور المقاومة الفكرية والسياسية التي هدفت إلى الحد من تمدد الدعوة الفاطمية، رغم الاختلاف المرجعيات العقدية بين هذه الأطراف.

2- السياسة الدينية:

تعد السياسة الدينية، التي عرفت في السياق الفاطمي بسياسة التشريق، من أهم أدوات الدولة في تثبيت مشروعها بالمغرب الأوسط، إذ قامت على ربط المجال المغاربي بالمشرق الفاطمي من حيث المرجعية العقدية والشرعية السياسية، عبر نشر الدعوة الإسماعيلية وتوجيه الخطاب الديني نحو الاعتقاد بإمامة الإمام القائم في المشرق. وقد سعت هذه السياسة إلى إعادة تشكيل الوعي الديني للمجتمع بما

---

[1] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص145.

[2] مخلد بن كيداد بن معاذ الله بن مغيث الزناتي، أبو يزيد، رجل من خوارج الإباضية، ثائر مشهور، من أهل قسنطينة من وجهي سدة تاوز في المغرب. نشأ في تاوز وتعلم القرآن الكريم، وحافظ النكارية من الخوارج الصفرية. وأخذ مذهبهم وقصد بلاد المغرب وأقام بها يعلم الصبيان ثم انتقل إلى القيروان يعلم فيها. وكان يظهر أمر من يعتقد معتقدهم بالمبايعة للأموال والدماء والخروج. ينظر: الزركلي، المصدر السابق، ج7، ص293.

ينسجم مع تصور الدولة لشرعيتها، وجعل المغرب الأوسط جزءا من امتدادها المذهبي والسياسي، مما جعلها عنصرا أساسيا في استراتيجية الفاطميين لبناء دولتهم وترسيخ نفوذهم.

تجلت المقاومة المذهبية لفقهاء المالكية ضد الله العبيدي في موقف **جبلة بن حمود الصدفي**[1](299هـ/911م)، الذي غدا رمزا لمقاومة برفضه استقبال "عبد الله الشيعي" بخلاف بقية شيوخ القيروان، بل امتد ليكون احتجاجا عقائديا صارخا حين انسحب من أول صلاة جمعة للفاطميين بجامع القيروان، وهو ما دفعه لاعتزال مساجدهم وتحريض الفقهاء على مقاطعتها، مما جعل تحركاته تحت مراقبة السلطة المضيقة، خاصة وأنه كان يعتبر وجودهم عدوا داخليا أشد خطرا من الروم، فكان يخرج كل صباح بسلاحه وفرسه مرابطا على أطراف القيروان في مواجهة "رقادة" تعبيرا عن استعداده لمواجهة المباشرة وصونا للمذهب المالكي[2].

وفي سنة 309هـ/921م أرسل عبيد الله المهدي منبب بن سلمان المكناسي وغيره من دعاة التشويق إلى أطراف لنشر دعوتهم، فتوجه هذا الداعي إلى ناحية تاهرت وأراد أن يختبر الناس في تقبل الدعوة الشيعية والقدرة على تحمل الأحكام التي يمكن مواجهتها، فنشرها بين العامة فأظهرته، وكشف منبب بجبل الونشريس ما أمره عبيد الله به ومن بين هذه المحرمات كان الرجل يدخل إلى حليلة جاره فيطأها وزوجها حاضر ينظر إليه ثم يخرج، فيصفق في وجههن ويصفع قفاه ويقول له: "تصبر" فإذا صبر أصبح في نظرهم كامل الإيمان ويسمى من الصابرة، لكن الناس لم يتقبلوا شناعة هذه الأفعال التي لا يقبلها لا الدين ولا العقل، فالدين يعتبر هذه الفعلة الشنيعة زنى التي يعاقب الشرع فاعلها بقوله تعالى: ﴿**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين**

---

[1] أبو مضعب جبلة بن حمود بن عبد الرحمن الصدفي، الفقيه العالم العامل تولى قضاء طرابلس ثم القيروان في عصر سنة 299 هـ بالقيروان ودفن بباب سلم، مولده سنة 216 هـ. الزركلي، خير الدين، ج4، ص456.

[2] مؤلف مجهول: كتاب العيون، تح عمر السعيدي، الكراسات التونسية، العدد 79-80، تونس، 1972م، ص81

الله...)[1] فقاوم الناس اتباع هذه الدعوة وقاتلوهم حتى كفوا عن إظهار هذه الشناعات مرة ثانية وفي سنة 310هـ/922م وقتل بجبل الأوراس أبو معلوه الكتامي من قواد عبيد الله المهدي الذي أخرج أهلها من ديارهم وكلفهم ما لا يطيقونه، وأمرهم بإخراج عيالهم إلى المهدية فخافوا منه وتظاهروا بالطاعة له وبدؤوا يقومون بما أمرهم، وانتظروا الفرصة للتخلص منه، وفي إحدى الليالي ترصدوا له وبخند كتامة الذين معه فقتلوهم جميعا[2].

قتل أبو عبد الله الشيعي بأمر من عبيد الله المهدي بعد قيام الدولة الفاطمية واستقرارها، وذلك سنة 298هـ/911م تقريبا، في سياق صراع داخلي على النفوذ داخل الدولة الناشئة. كما قتل في القيروان من تشرقوا من المغرب الأوسط ممن اقتصوا بالميلي مع أبي عبد الله الشيعي وأخيه العباس منهم محمد بن أبي سعيد الميلي، فبعد أن كان أبو عبد الله هو القائد الفعلي للدعوة الفاطمية وصاحب الدور الأكبر في إسقاط الدولة الرستمية وتمهيد وصول المهدي، بدأت الخلافات تظهر بينه وبين الخليفة الجديد حول السلطة وموقع القيادة الشعبية للدولة، إذ خشي المهدي من نفوذ أبي عبد الله الواسع داخل الجيش والقبائل، خاصة كتامة، واحتمال تحوله إلى قوة موازية لسلطته. لذلك دبرت له مكيدة انتهت باغتياله مع عدد من أتباعه أثناء وجوده في مقر الحكم. وبذلك تخلص المهدي من أبرز رجالات الدعوة وأرسى سلطته المركزية دون منافس قوي، في خطوة حاسمة لترسيخ الحكم الفاطمي.

وفي ختام هذه الأحداث المتشابكة، يتضح أن قيام الدولة الفاطمية في المغرب الأوسط كان نتيجة تداخل عوامل متعددة، أبرزها التحالفات التي عقدها أبو عبد الله الشيعي مع قبائل كتامة، والتي شكلت القاعدة العسكرية الحاسمة في إسقاط الدولة الرستمية وتثبيت أركان الحكم الجديد. غير أن هذه التحالفات، التي قامت على المصالح المشتركة في البداية، سرعان ما عرفت توترا بعد قيام الدولة، خاصة مع تحول ميزان القوة لصالح عبيد الله المهدي وسعيه إلى إحكام السيطرة المركزية، مما

[1] سورة النور، الآية2.

[2] سعيدة لوزري، مرجع السابق، ص ص177-178.

أدى إلى تصفية أبرز قادة الدعوة وعلى رأسهم أبو عبد الله نفسه. وفي المقابل، واجهت الدولة الفاطمية معارضة فكرية ومذهبية قادها فقهاء المالكية، الذين حاولوا الحفاظ على نفوذهم العلمي عبر المقاومة والهجرة والتحالف أحيانا مع قوى معارضة أخرى، وهو ما يعكس طبيعة المرحلة القائمة على الصراع بين التحالفات القبلية والسياسية من جهة، والتوازنات المذهبية من جهة أخرى. وهكذا انتهت هذه المرحلة بتثبيت دولة قوية، لكنها ولدت من شبكة معقدة من التحالفات ثم تفككت داخليا بعد استقرار السلطة.

فقهاء المالكية في المغرب الأوسط خلال القرن الرابع الهجري–العاشر الميلادي

اسم الفقيه	سنة الوفاة	المدينة الأصلية	المدن التي رحل إليها	المصدر
إبراهيم بن عبد الرحمن التنسي أبو إسحاق	307هـ/919م	تنس	الأندلس– (مدينة الزهراء)	القاضي، نغبة الملتمس، ص187. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص48. أعلام المغرب العربي، ج1، ص36. عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص11. المنتاتين المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي، ص136.
أبو محمد عبد الله التاهرتي	ق313هـ/925م	تاهرت	القيروان	المالكي، رياض النفوس، ج2، ص182.
أحمد بن فتح بن الخراز التاهرتي	332هـ/343م	طليلة	فاس– قرطبة– إفريقية	ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص61. أعلام المغرب العربي، ج2، ص287. البكري المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، ص110-111. ابن

				عذاري، البيان، ج1، ص103. البارودي، أزهار الرياض، ج2، ص77.
عبد الله بن عيسى ابن محمد بن أبي رمتن المزني	359هـ/969م	تنس	بجاية- قرصة	ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص191. القاضي عياض، ج4، ص680.
محمد بن فرج بن سبعون أبو عبد الله البجلي	367هـ/917م	بجاية	مكة- مصر- قرصة	المقريزي، المقفى الكبير، ج6، ص511-512. ياقوت الحموي، ج2، ص132: ذكر وفاته سنة 368هـ/378م.
أحمد بن الحسين بن محمد بن تميم بن مر الطنبي	390هـ/999م	طنبة	الأندلس- المشرق- قرصة	ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص62. عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص23. ابن حزم، الرسائل، ج1، ص260-261.
زكريا بن بكر بن أحمد الغساني	393هـ/1002م	تاهرت	الأندلس- مصر	ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص130. عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص743. البارودي، أزهار الرياض، ج2، ص75. اهنتاني، المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي، ص136.

أحمد بن مخلوف المسيلي	393هـ/1002م	المسيلة	إفريقية- قرصة	ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، (ط.دار الهيئة)، ص63.
محمد بن الحسين مالك التميمي الخصاني العنسي الزاهي	394هـ/1003م	صبنة	الأندلس	الضبي: بغية الملتمس، ص58-59.
أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التميمي	ت395هـ/1004م	تاهرت	الأندلس	الضبي، بغية الملتمس، ص171-172. ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص84. عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص35.
أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الربعي الباغائي المقري	401هـ/1010م	باغاي	الأندلس- مصر	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص680. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص325. عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص28، ج1، ص325. أعلام المغرب العربي، ج3، ص9-10.

عبد الرحمن بن زيادة الله بن عبي التميمي	401هـ/1010م	صبنة	قرصة	ابن بشكوال الصلة: ج1، ص309.
أحمد بن نصر الداودي الأسدي	402هـ/1011م	تلمسيلة	تلمسان- طرابلس	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص623. ابن فرحون، شجرة النور الزكية، ص94. عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص47. أعلام المغرب العربي ص14.
أحمد بن أبي توبة	406هـ/1015م	دكمة	لا يوجد	ابن عذاري، البيان: ج1، ص264. الأعلام المغربي العربي: ج3، ص16.
محمد بن عبد الله التمساني أبو عبد الله	ق4هـ/10م	تلمسان	لا يوجد	الضبي، بغية المتمس، ص84.
قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي	ق4هـ/10م	تاهرت	الأندلس	الضبي، بغية المتمس، ص394. عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص131. الحميدي، جذوة المقتبس، ص331.
سعيد بن خلف الوهراني	ق4هـ/10م	وهران	لا يوجد	عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص208. المنتاني: المذهب المالكي في المغرب الإسلامي، ص137.
محمد بن نصر بن	ق4هـ/10م	مبنة	القيروان	المالكي، رياض النفوس، ج2، ص462.

أبي البار تلمسي				
أحمد بن أبي عمران الوهراني	ق4هـ/10م	وهران	قرطبة	أعلام المغرب العربي، ج2، ص295. المنتاني، المذهب المالكي في المغرب الإسلامي، ص136.
ابن الصباغ	ق4هـ/10م	مبنة	القيروان	أبو العرب، طبقات، ص217، الأصالة، العدد 7، 1972، ص6.
محمد بن عمر بن أبي البار تلمسي	ق4هـ/10م	مبنة	القيروان	المالكي، رياض النفوس، ج2، ص462.

الفقهاء المالكية الذين استوطنوا المغرب الأوسط خلال القرن الرابع الهجري–العاشر

اسم الفقيه	سنة الوفاة	المدينة الأصلية	المدينة التي رحل إليها	المصدر
أحمد بن دحيم	308هـ/920م	قرطبة	بجاية– مكة– بغداد– الأندلس	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص419-420.
فضل بن سلمة البجاني	319هـ/931م	البيرة	القيروان– بجاية– المشرق– بجاية	ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص123. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص315. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص277-278. الخشني،

			(الأندلس)	بغية الملتمس، ص387-388. عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص130.
حفص بن محمد بن حفص الورقي التميمي	325هـ/936م	قرصة	بجاية	الضبي: بغية الملتمس، ص233.
أبو عثمان سعيد بن فحلون بن سعيد	346هـ/957م	تيهرت	بجاية (الأندلس)- المشرق	ابن فرحون، الديباج المذهب، ص203-204.
علاء بن محمد	347هـ/958م	تاهرت	بونة	ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص262.
عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي دنبه	351هـ/962م	قرصة	بجاية-تيهرت	القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج4، ص440-441.
محمد بن عبد الله ابن يحيى المعروف بابن عيسى القاضي	354هـ/965م	قرصة	بجاية- إفريقية- المشرق	القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج3، ص406 وما بعدها.
محمد بن	ق4هـ/10م	تيهرت	بجاية	القاضي عياض ترتيب المدارك: ج4،

عيسى بن محمد بن عبد الله بن خير الغزاري				ص444.
أحمد بن محمد بن محمد بن عبيدة الأموي	ق4هـ/10م	طليطلة	طليطلة– طرابلس– المدينة المنورة	ابن عكنون، العسة: ج1، ص20 وما بعدها
أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج المازري	ق4هـ/10م	صقلية	قلعة بني حماد– العراق– القيروان	القاضي عياض: ج4، ص792-793.
خلف بن عبد الله بن مخارق الخولاني	ق4هـ/10م	الجزيرة الخضراء	بجاية– قرطبة	القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج4، ص452.

ملاحظة: هذه إحصائيات قامت بها الأستاذة سعيدة لعزري: تنبيه الغالب، ص ص180 –184

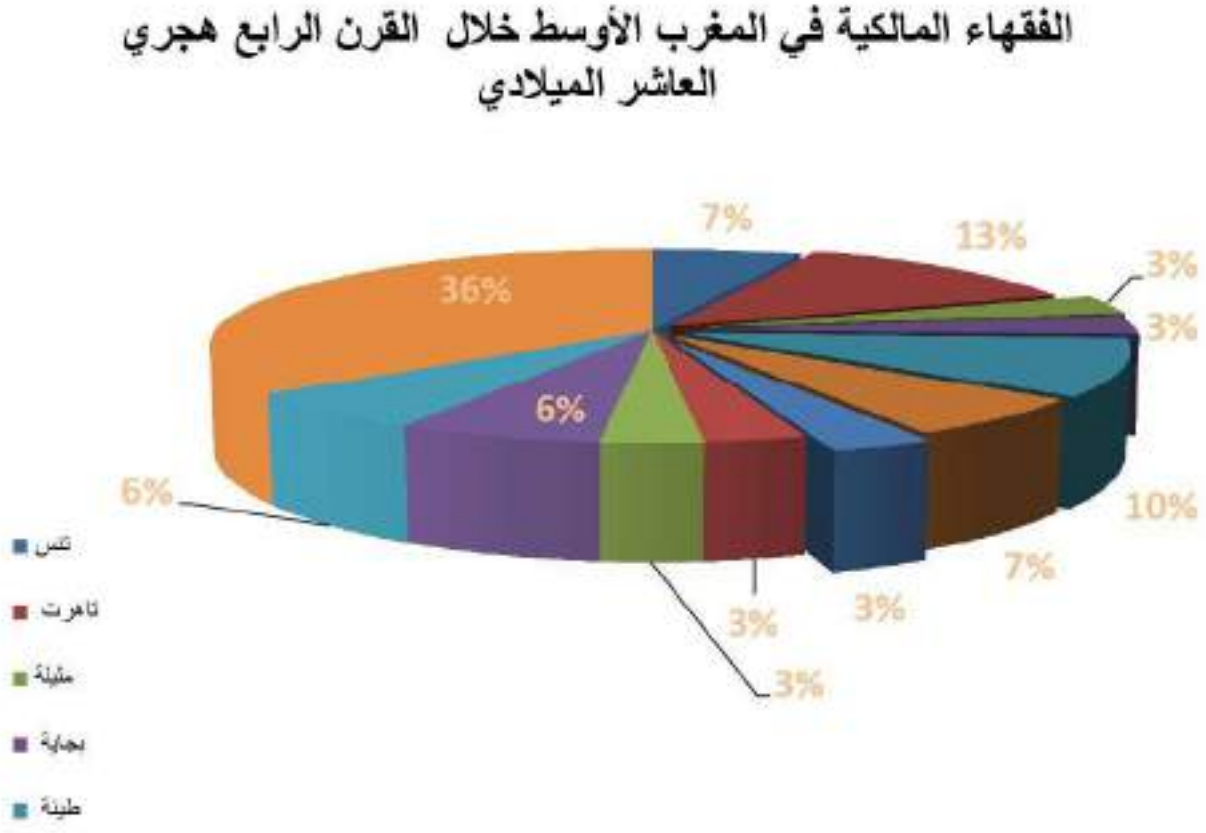
الفقهاء المالكية في المغرب الأوسط خلال القرن الرابع هجري العاشر الميلادي
7%
13%
3%
3%
36%
6%
6%
10%
7%
3%
3%
3%
تلمسان
تاهرت
مليانة
بجاية
طبنة

الفصل الثالث :

الفصل الثالث: المالكية بالمغرب الأوسط في العهد الحمادي ودورهم في ترسيخ المذهب وبناء الدولة

أولا : بنو حماد والمذهب المالكي: سياق النشأة والتوجه المذهبي

ثانيا : المذهب المالكي كدعامة استقرار للدولة الحمادية

ثالثا : المالكية والشرعية السياسية في الدولة الحمادية

تمهيد :

بلغ المذهب المالكي في الكنف الحمادي مرحلة "السيادة المطلقة"، حيث لم يعد مجرد خيار مدرسي، بل تحول إلى العمود الفقري للكيان الوطني؛ إذ تداخلت فيه سلطة الدولة مع وجدان المجتمع، فأصبح الفقيه المالكي هو "المهندس الاجتماعي" الذي يدير القضاء، والتعليم، والأوقاف، وحتى العلاقات الدبلوماسية. هذا التغلغل المذهبي حول مدن القلعة وبجاية إلى منارات فقهية تافست القيروان وفرطبة، لتغدو المالكية هي "اللغة القانونية" الوحيدة التي تتحدثها المؤسسات، والحصن الحصين الذي صان الخصوصية المذهبية للمغرب الأوسط ضد محاولات الاختراق الإيديولوجي، مرسخا بذلك ريادة المذهب التي استمرت عبر القرون.

أولا : بنو حماد والمذهب المالكي: سياق النشأة والتوجه المذهبي

نشأت الدولة الحمادية في مطلع القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي في سياق التحولات الكبرى التي عرفها المغرب الإسلامي، حين بدأت سلطة الدولة الزيرية تتفكك تحت ضغط التوترات الداخلية والتحولات السياسية في إفريقية[1].

فقد كان حماد بن بلكين أحد كبار أمراء بني زيري، عينه أخوه وأمير إفريقية باديس بن منصور واليا على الجهات الغربية من البلاد؛ فتمكن بفضل حنكته السياسية وقوته العسكرية من بسط نفوذه على مناطق واسعة من المغرب الأوسط. وفي سنة 398هـ/1007م أسس عاصمته الشهيرة قلعة بني حماد، التي أصبحت مركزا سياسيا وحضاريا مهما، ومعبرة عن طموحه في الاستقلال التدريجي عن السلطة الزيرية[2].

غير أن هذا التوسع لم يكن محل قبول من قبل الأمير الزيري المعز بن باديس، الذي رأى في تنامي قوة حماد تهديدا مباشرا لوحدة الدولة ونفوذها، فاندلع صراع سياسي وعسكري بين الطرفين اتخذ طابعا

[1] حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، مرجع سابق، ص ص184-191.

[2] نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أبو العباس القلقشندي، دار الكتاب – بيروت 1400 هـ/1980م، ص 317.

حماد، وقد حاول المعز في البداية احتواء حماد وإعادته إلى الطاعة، لكن هذا الأخير أعلن استقلاله الفعلي، مستفيدا من بعد المسافة الجغرافية وضعف قبضة الزيريين على المغرب الأوسط[1].

ثم تطورت المواجهة إلى حروب متقطعة، تخللتها محاولات للصلح، حيث اضطر حماد أحيانا إلى إظهار الولاء الاسمي للزيريين مقابل الاحتفاظ بسلطته الفعلية[2].

ثبت الحماديون أركان دولتهم، خاصة بعد انشغال المعز بن باديس بأزمات أخرى، أبرزها تداعيات قطع الدعوة للفاطميين وما ترتب عنه من زحف قبائل بني هلال على إفريقية[3]، مما أضعف الدولة الزيرية وأتاح للحماديين فرصة ترسيخ استقلالهم[4]. وهكذا تحولت الدولة الحمادية إلى كيان سياسي مستقل لعب دورا بارزا في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعا بين القوة العسكرية والازدهار العمراني، ومهدا لظهور مراكز حضارية جديدة في المنطقة[5].

ثانيا– المذهب المالكي كدعامة استقرار للدولة الحمادية

تبرز علاقة الفقهاء المالكية بالحكام الحماديين نموذجا مميزا للتفاعل بين السلطة السياسية والمرجعية الدينية في تاريخ المغرب الإسلامي، حيث أدرك أمراء بني حماد، منذ تأسيس دولتهم على يد حماد بن بلكين، أن تثبيت أركان الحكم لا يتحقق بالقوة العسكرية وحدها، بل يتطلب أيضا سندا شرعيا يضفي على السلطة طابع القبول والاستقرار.

ومن هذا المنطلق، حرصوا على استقطاب الفقهاء المالكية وتقريبهم، فأسندوا إليهم مناصب القضاء والإفتاء، وشجعوا النشاط العلمي في حواضرهم، خاصة في قلعة بني حماد التي تحولت إلى مركز إشعاع علمي بارز. وقد أسهم هذا التقارب في ترسيخ المذهب المالكي كمرجعية دينية وقانونية،

---

[1] ابن أبي زرع، روض القرطاس، المصدر السابق، ص71.

[2] القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص628.

[3] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص315–322.

[4] حسان، المرجع السابق، ج2، ص ص122–130.

[5] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص ص230–248. ينظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص ص101–108.

ومنح الدولة نوعا من الشرعية التي عززت مكانتها في مواجهة التحديات السياسية والمذهبية، خصوصا في ظل الصراع غير المباشر مع بقايا النفوذ الفاطمي[1].

غير أن هذه العلاقة لم تكن قائمة على التبعية المطلقة، بل اتسمت بقدر من التوازن والوظيفية؛ إذ احتفظ الفقهاء بدورهم الإصلاحي والرقابي، فكانوا يتدخلون بالنصح والتوجيه عند ظهور مظالم أو تجاوزات من قبل بعض الولاة والعمال. وتورد المصادر التاريخية أمثلة دالة على ذلك، حيث كان الفقيه أو القاضي يعترض على المغالاة في الضرائب أو يدعو إلى تحقيق العدل بين الرعية، فيسعى الحاكم إلى الاستجابة أو التخفيف؛ إدراكا منه لأهمية الحفاظ على صورته أمام العامة وعلى دعمه من قبل العلماء[2].

ويعكس هذا السلوك وعيا سياسيا لدى السلطة بأهمية الرأي الفقهي في توجيه المجتمع. كما يكشف عن مكانة الفقيه كوسيط بين الحاكم والمحكوم[3].

وجملة مقول القول إن العلاقة بين الفقهاء المالكية والحكام الحماديين قامت على نوع من الشراكة الضمنية، حيث تبادل الطرفان المنافع ضمن إطار من الحذر المتبادل؛ فالسلطة وفرت الحماية والدعم المادي للمؤسسة الدينية، بينما منح الفقهاء الشرعية والتأطير الفقهي للحكم، مع الاحتفاظ بحق النصح والتقويم. وقد أسهم هذا التوازن في تحقيق قدر من الاستقرار السياسي والاجتماعي، وفي ترسيخ الهوية السنية المالكية في المغرب الأوسط، مما جعل التجربة الحمادية مثالا بارزا على تفاعل الدين والسياسة في تاريخ المنطقة.

ثالثا– المالكية والشرعية السياسية في الدولة الحمادية

برز المذهب المالكي بوصفه إطارا فقهيا ومؤسسيا ساهم في تنظيم الحياة العامة، وتوجيه السلوك السياسي والاجتماعي، مما جعل الفقهاء المالكية يحتلون مكانة مركزية في بنية الدولة الحمادية. فقد

---

[1] الكرفي، المصدر السابق، ص ص160–170.

[2] القاضي عياض، المصدر السابق، ص ص55–76.

[3] تورقي، المصدر السابق، ج23، ص178. عبد الرحمان خلاف، مرجع سابق، ص ص 133–142. بطرس بشير، دولة الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص ص154–177. الصابي، المرجع السابق، ص ص99–107.

أسندت إليهم مهام القضاء والإفتاء، وأسهموا في ضبط العلاقات بين الحاكم والمحكوم، كما اضطلعوا بدور مهم في نشر قيم العدل والاستقرار، وتعزيز الانسجام داخل المجتمع.

وعليه، فإن دراسة دور المالكية في استقرار الحكم الحمادي تكتسي أهمية بالغة، إذ تكشف عن طبيعة العلاقة بين السلطة السياسية والمؤسسة الدينية، وتبرز كيف ساهم الفقهاء في إضفاء المشروعية على الحكم، وفي الوقت ذاته مارسوا دورا توجيهيا ورقابيا أسهم في الحد من الانحرافات، مما جعلهم عنصرا فاعلا في تحقيق التوازن والاستقرار داخل الدولة.

1- الفقهاء المالكية وأدوارهم في بناء الحكم الحمادي

يبرز حضور الفقهاء المالكية في بنية الحكم الحمادي بشكل واضح من خلال تولّيهم لمناصب إدارية وقضائية حساسة، وهو ما يعكس المكانة التي حظي بها العلم الشرعي داخل الدولة. فقد حرص حكام بني حماد منذ عهد حماد بن بلكين على إشراك العلماء في تسيير شؤون الدولة، فأسندوا إليهم خطة القضاء والإفتاء، لما يتمتعون به من مصداقية دينية وقدرة على ضبط النزاعات بين الناس وفق المذهب المالكي. وتذكر المصادر التاريخية أن عددا من القضاة المالكية تولوا الفصل في الخصومات داخل المدن الكبرى التابعة للدولة، كما كان بعضهم يشرف على الأوقاف ويكلف بتنظيم شؤون المساجد والتعليم، وهو ما يدل على دمج الفقيه في الجهاز الإداري وليس الاكتفاء بدوره الديني فقط[1].

تتوفر في المصادر التاريخية إشارات إلى عدد من الفقهاء المالكية الذين كان لهم حضور علمي وإداري في بيئة المغرب الأوسط خلال العصر الحمادي، سواء بشكل مباشر داخل الدولة أو في محيطها العلمي الذي استفادت منه السلطة. ومن أبرز هؤلاء ماذكره القاضي عياض: الفقيه أبو حفص عمر بن أبي الحسن بن العبابون فأصبح بمثابة رئيس المدرسة المالكية بالمنطقة، كما يعود الفضل إلى فقهاء بجاية والذين تتلمذوا عنهم، منهم الفقيه فضل بن سلمة البجائي (ت 319هـ – 931م)، بدوره تفقه على جماعة من أصحاب سحنون وتفقه عنه، قال محمد ابن عيسى عنه ما علمت أن أحدا تقادمه كان يرحل إليه لسماع بالقيروان بالحظ ، وقال أبو محمد بن حزم الظاهري

[1] ابن الأثير، نفس المصدر السابق، ج8، ص ص 105–111. عبد الرحمان جيلالي، مرجع سابق، ج2، ص151.

عنه: " كان من أعلم الناس بمذهب مالك ** والفقيه سعيد بن عثمان بن منازل من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي) يعرف بابن الشقاق منه كان لا يشغله عن منصبه كقاضي إلا الدرس أو المناظرة في المذهب مع الفقيه أحمد بن واضح[1] و غيره.

أما في بجاية فبرز فيها العديد من فقهاء المالكية الذين تقلدو مناصب سياسية وفي مقدمتهم **أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي**[2]كان يسمى **أبا حامد الصغير**، فقيه وإمام جمع بين العلم والعمل والورع، وبين علمي الظاهر والباطن، له المصنفات الحسنة والقصص العجيبة المستحسنة[3].

درس بمدينة بجاية، وولي القضاء بها، وجمع بين العلم والعمل، وعرف بأبي حامد الغزالي الصغير، أورد العزيزي قولا لأبي علي المسيلي، جاء فيه: «أدركت ببجاية ما ينيف على تسعين مفتيا، ما منهم من يعرف الحسن بن عمي المسيلي» لكثرة العلماء الجهابذة في مدينة بجاية في زمانه[4].

2 – بجاية حاضرة المذهب:

مثلت بجاية في العهد الحمادي إحدى أبرز الحواضر التاريخية في المغرب الأوسط، إذ ارتقت تدريجيا من مدينة ساحلية ذات أهمية تجارية إلى مركز سياسي وعلمي له إشعاع واسع في المنطقة. وقد تعززت مكانتها خاصة بعد أن أصبحت من أهم المراكز التابعة للدولة الحمادية، حيث استفادت من موقعها الاستراتيجي على البحر المتوسط، مما جعلها حلقة وصل بين إفريقيا والأندلس والمشرق، وأسهم في ازدهار نشاطها الاقتصادي وتنامي أهميتها السياسية. ومع استقرار الحكم الحمادي، تحولت بجاية إلى فضاء حضري متكامل، يجمع بين الوظيفة الإدارية والعسكرية من جهة، والحياة العلمية والدينية من جهة أخرى[5].

---

[1] سعيدة لزرقي، مرجع سابق، ص222.

[2] التنكي، مصدر سابق، ص ص107–109.

[3] بن حماد الصنهاجي (ت810هـ/1408م). **أمر الفقير وعز الحقير**، عني بنشره وتصحيحه حمد الفاسي (الكويت: منشورات المركز الجامعي للبحث، د.ت.ن)، ص ص34–35.

[4] العزيزي، مصدر سابق، ص ص41–42.

[5] بلوت حسوني، مصدر سابق، ص ص360–366.

كما عرفت المدينة خلال هذه المرحلة ازدهارا علميا ملحوظا، حيث استقطبت عددا كبيرا من الفقهاء المالكية والعلماء، فانتشرت بها حلقات الدرس في المساجد، وتطورت حركة التأليف والتدريس في مختلف العلوم الشرعية. وقد تشجع الحكام الحماديون هذا التوجه عبر تقريب العلماء وإسناد بعض الوظائف القضائية والدينية إليهم، مما جعل بجاية مركزا لنشر المذهب المالكي وترسيخ حضوره في المغرب الأوسط. وبذلك أصبحت المدينة نموذجا حاضرة تجمع بين القوة السياسية والازدهار العلمي، وأسهمت بشكل واضح في دعم استقرار الدولة الحمادية وتعزيز مكانتها الحضارية في تاريخ المنطقة[1].

وإذا أردنا أن نقارن بين القلعة وبجاية يمكن إبراز الفارق من خلال تطور الوظيفة التاريخية لكل منهما داخل الدولة الحمادية، إذ تمثل كل واحدة مرحلة مختلفة من مسار الحكم والتمدن، فقد كانت قلعة بني حماد أول عاصمة للدولة الحمادية، وقد أسست في بيئة جبلية حصينة تعكس الطابع العسكري للدولة في بداياتها، حيث غلب عليها الطابع الدفاعي والسياسي، وكانت مركز الحكم والإدارة، مع اهتمام نسبي بالعلم، لكنها بقيت مرتبطة أكثر بمنطق السلطة والتأسيس وبناء الدولة[2].

في المقابل، برزت بجاية في مرحلة لاحقة باعتبارها امتدادا حضريا أكثر انفتاحا وازدهارا، خاصة بعد انتقال مركز الثقل السياسي إليها تدريجيا، فصارت مدينة بحرية ذات طابع تجاري وعلمي في آن واحد. وإذا كانت القلعة قد جسدت مرحلة التأسيس والقوة العسكرية، فإن بجاية مثلت مرحلة النضج الحضاري والانفتاح، حيث ازدهرت الحياة العلمية بشكل واسع، واستقر بها عدد كبير من الفقهاء المالكية الذين جعلوا منها مركزا للعلم والقضاء والإفتاء[3].

وعليه، يمكن القول إن القلعة ارتبطت بمرحلة بناء الدولة وترسيخ السلطة، بينما ارتبطت بجاية بمرحلة توسع الدولة وازدهارها الحضاري والعلمي، مما يعكس تطور النموذج الحمادي من حكم قائم على التحصين العسكري إلى دولة ذات بعد حضاري وعلمي متكامل.

رابعا: الفقهاء المالكية في حواضر الدولة الحمادي

[1] الخضيري، زوهير، المرجع السابق، ص ص120-129.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج1، 1999م، 116-120.

[3] عبد الرحمان جيلالي، المرجع السابق، ج2، د ص، 122-126.

تشكل الفقهاء المالكية في الحواضر الحمادية إحدى الركائز الأساسية التي قامت عليها الحياة العلمية والسياسية في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، إذ ارتبط حضورهم الوثيق بتطور الدولة الحمادية منذ تأسيسها على يد حماد بن بلكين. فقد كانت الحواضر الكبرى مثل قلعة بني حماد ثم لاحقا بجاية فضاءات احتضنت نشاطا علميا مكثفا، حيث انتشرت حلقات الدرس، وتطورت وظائف القضاء والإفتاء، مما جعل الفقهاء المالكية يشكلون النخبة العلمية التي ساهمت في تنظيم المجتمع وتوجيهه وفق المذهب المالكي.

1 – من فقهاء القلعة:

- أبو بكر الزدالي عتيق بن محمد: قال عنه ابن الجزري شيخ الاقراء بقلعة بني حماد، رحل ودخل دمشق فقرأ على الأهوازي(362-446)، وبمصر على ابن النفيس (ت453هـ) وقرأ على محمد بن بكر الاشبيلي.[1] كما درس الفقه على يد عبد الله بن العجوز وهو من شيوخ سبتة وكان بارعا في مذهب الامام مالك، وجلس في مجالس الامام ابن ابي زيد القيرواني سنين.[2]
- **أبو الفضل النحوي:**

أبو الفضل **يوسف بن محمد بن يوسف التوزري التلمساني)** (513 – 433هـ) مجتهد، نحوي، ناظم، فقيه، من أهل تلمسان، ومن مشاهير علماء الإسلام وأحد المجددين للفقه الإسلامي، وصاحب القصيدة المنفرجة التي انتشر صيتها في العالم الإسلامي وما زالت. عرف بابن النحوي التوزري نسبة إلى توزر مسقط رأسه في الجنوب التونسي[3]. وكانت توزر في عصره بها أعلام كثيرة مثل عبد الله بن يحي الشقراطيسي الذي كان إماما في الحديث والعربية والفقه، أديبا شاعرا، وهو من شيوخ ابن النحوي. ثم رحل أبو الفضل إلى ولاية صفاقس بالجنوب الشرقي التونسي للأخذ عن شيوخ فقهاء عصره الشيخ أبو الحسن المخمي: فقرأ عليه كتاب التبصرة وروى عنه صحيح البخاري[4].

---

[1] بونيش، المرجع السابق، ص147.

[2] القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص635.

[3] الزركلي، المصدر السابق، ج8، ص248.

[4] التنبكتي، المصدر السابق، ص289.

وأخذ عن الإمام المازري فقرأ عليه أصول الفقه، وعلم الكلام[1]. كان ابن النحوي مثل شيخه اللخمي مائلا إلى الاجتهاد في الفقه، ومتمكنا من أصول الدين والفقه مثل الإمام المازري، شاعرا وأديبا ونحويا مثل شيخه الشقراطيسي.[2]

ولقد لقي ابن النحوي المتاعب والمقاومة من فقهاء ورؤساء الدولة المرابطية، في الخلاف القائم حول كتاب إحياء علوم الدين، زمن استقراره بالمغرب الأقصى عندما أقرأ علم الكلام وعلم أصول الفقه[3].

إن عاطفة التدين ألهمت أبا الفضل ابن النحوي نظم الشعر الجيد الرقيق مثلما ألهمت شيخه الشقراطيسي من قبل نظم لاميته في مدح الرسول ﷺ وذكر معجزاته. ومن أطول وأجود شعر أبي الفضل ابن النحوي «القصيدة المنفرجة» والتي تسمى "أم الفرج"، في أربعين بيتا، والتي نظمها على إثر ضائقة لحقته، والتي صحح نسبتها إليه كثير من أهل العلم، ومطلعها:

اشتدي أزمة تنفرجي قد آذن ليلك بالبلج

وهو متأثر بالمنفرجة التي تنسب للغزالي وإن كان المترجم أسلس نظما وأخصب خيالا وها هي ذي أبيات من المنفرجة المنسوبة للغزالي نذكرها للمقارنة.[4]

2- من فقهاء بجاية:

أحدث انتقال الحواضر الحمادية من القلعة إلى بجاية في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) تحولا بنيويا في الخارطة العلمية لمغرب الأوسط، حيث تحولت بجاية إلى **"حاضرة استقطاب إقليمية "** تجاوزت في إشعاعها الحدود السياسية لتصبح مركزا عالميا لمنح الإجازات العلمية وتوثيق الأهلية الفقهية؛ وقد تجلى هذا الدور في الحراك المعرفي لعلماء بارزين مثل **أبي القاسم الجليل الربعي القيرواني** الذي منح إجازته الفقهية في قلب بجاية، والفقيه **يوسف بن عيسى**، بالإضافة إلى

---

[1] نفسه، ص291.

[2] ابن عليوف، المرجع السابق، ص324.

[3] الجيلاني، المرجع السابق، ج2، ص243.

[4] عبد الحليم عويس، المستشرقون السابق، ص267.

النوابغ الذين جمعوا بين التكوين القيرواني والرحلة المشرقية والبراعة في أدب المناظرة مثل **أحمد بن واضح**، مما صبغ المدرسة المالكية الحمادية بطابع "الموسوعية".[1]

ومن الفقهاء المالكية من سكن بجاية أو كان أحد قضاتها منهم الفقيه سعيد بن عثمان بن منازل من مدينة البيرة بالأندلس يعرف بابن الشقاق له سماع من فضل بن سلمة وابن فحلون وبابيرة من ابن قنبيس وابن عمر، فقيها حافظا عالما، لا شغل له إلا الدرس أو المناظرة، اشتهر في بجاية هو والفقيه أحمد بن مناصح، كما تفقه إبنه عثمان بن سعيد (ت. 464هـ - 1071م).[2]

ومن فقهاء المالكية من مدن المغرب الأوسط الأخرى على سبيل المثال لا الحصر، أبو مروان عبد الملك بن زيادة الطبني (ت 456هـ - 1063م)، من قرطبة من بيت علم ونباهة وأدب وخير وصلاح، وأصلهم من طبنة، دخلوا الأندلس قديما[3].

3- من فقهاء تلمسان:

أحمد بن نصر الداودي الأسدي التلمساني (أبو جعفر) هو أحد كبار أئمة المالكية في عصره ببلاد المغرب، ترجع المصادر أصله من المسيلة أو بسكرة، وقد تنقل في طلب العلم بين طرابلس الغرب وتلمسان التي استقر فيها حتى وفاته عام 402 هـ (1010 م).[4] يعد الداودي صاحب الزيادة لكونه أول من وضع شرحا على "صحيح البخاري"، وقد وصفه ابن فرحون بالفقيه الفاضل والمؤلف المجيد الذي تميز بسعة إدراكه العلمي، حيث لم يتفقه على يد إمام مشهور بل نال علمه بجهده ونظره الثاقب في اللغة والحديث، مخلفا وراءه إرثا علميا غزيرا صاغ جله في مدينة تلمسان[5].

4 – من فقهاء المسيلة:

حسين بن محمد بن سكون، أبو علي المسيلي، مالكي المذهب، شارك في بعض العلوم، رحل إلى الأندلس فولاه سليمان بن حكم المشورى بقرطبة، قال عنه ابن بشكوال: كان[6].

---

[1] القاضي عياض، المرجع السابق، ج4، ص ص445-446.

[2] سعيدة بوزيد، المرجع السابق، 227.

[3] نفسه، ص228.

[4] ابن فرحون، المصدر السابق، ص287.

[5] القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص432.

[6] المعربي، المصدر السابق، ص33. بشير التلاتي، المصدر السابق، ص104. وبهيش، المرجع السابق، ص300.

5 – من فقهاء طبنة:

عبد العزيز بن زيادة الله الطبني، أبو الأصبغ، عاصر الدولة الحمادية، محدث فاضل الرأي والحكمة، سمع من أبي الوليد يونس بن عبد الله(338هـ-429هـ)، سافر إلى قرطبة وكان فاضلا بها، قال عنه ابن بشكوال: "كان له فضل وسخاء".[1]

6 من فقهاء بسكرة:

يوسف بن علي بن جمارة بن محمد أبو القاسم الحذلي البسكري، مقرئ ومتكلم ونحوي، نشأ في بسكرة وكان كثير الترحال في طلب القراءات المشهورة والشاذة، زار أصبهان وبغداد وسمع أبا نعيم الأصبهاني وغيره.[2]

عينه نظام الملك مقرئا في مدرسته بنيسابور سنة 458هـ، له كتاب في آخر عصره يسمى الكامل في القراءات"، وجاء في قوله: "ألفت هذا الكتاب فجعلته جامعا لطرق التلاوة والقراءات المعروفة ونسخت به مصنفاتي له الوجيز والهادي".[3]

يتضح من خلال ما سبق أن الفقهاء المالكية شكّلوا عنصرا محوريا في بنية الدولة الحمادية، ليس فقط بوصفهم نخبة علمية، بل باعتبارهم قوة فاعلة ساهمت في ترسيخ الاستقرار السياسي والاجتماعي داخل الحواضر الكبرى، وعلى رأسها قلعة بني حماد وبجاية. فقد ارتبط حضورهم الوثيق بمشروع الدولة في بناء شرعيتها الدينية، حيث تولّوا مهام القضاء والإفتاء والتدريس، وأسهموا في تنظيم الحياة العامة وفق المرجعية المالكية التي كانت الإطار الفقهي السائد في المغرب الأوسط.

كما أبانت الدراسة أن العلاقة بين الفقهاء والسلطة الحمادية لم تكن علاقة تبعية مطلقة، بل اتسمت بنوع من التوازن والتكامل، إذ استفادت السلطة من مكانة العلماء في كسب المشروعية وضبط المجتمع، بينما وجد الفقهاء في رعاية الدولة فضاء لنشر العلم وترسيخ المذهب المالكي. ومن

---

[1] ابن بشكوال، المصدر السابق، ص270. ينظر: بويحي، مرجع السابق، ص202.

[2] ابن العماد شهاب الدين أحمد بن محمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، إشراف عبد القادر الأرناؤوط، تح محمود الأرناؤوط، د. ن، دمشق، 1987، ج3، ص 324. ينظر: الجيلاني، مرجع سابق، ج1، ص394.

3 إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، المكتبة الإسلامية، ط1، تركيا، 1997، ج2، 551. ينظر: حاجي خليفة، المصدر السابق، 567.

ثم، فإن الفقهاء المالكية لم يكونوا مجرد علماء منعزلين، بل كانوا شركاء في بناء الدولة وصناعة استقرارها، مما يعكس عمق التداخل بين العلم والسياسة في التجربة الحمادية، ويبرز دورهم كأحد أهم مقومات القوة الناعمة في تاريخ المغرب الإسلامي.

الفقهاء المالكية في المغرب الأوسط خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي

اسم الفقيه	سنة الوفاة	المدينة الأصلية	المدينة التي رحل إليها	المصدر
عبد الرحمن بن خالد البحالي الوهراني	411هـ/1020م	وهران	لا يوجد	الحميدي، جذوة المقتبس، ص316.
عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الحمداوي الوهراني	411هـ/11م	وهران	فرصة- العراق وغيرها	الحميدي، جذوة المقتبس، ص256. الضبي بغية الملتمس، ص319. ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص311 وما بعدها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص386. عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص86.
عبد الله بن يوسف بن ضلحة بن عمرون الوهراني	429هـ/1037م	وهران	الأندلس	عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص106-107. ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص298.
يحيى بن عبد الله	430-	وهران	لا يوجد	ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص666.

بن محمد ابن يحيى القرشي الجمحي الوهراني	431هـ/1038-1039م			
أبو علي حسن بن محمد سلمون المسيلي	431هـ/1039م	المسيلة	قرصة	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص716. عادل النويهض، العام الجزائر، ص69.
أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي الطرابلسي	440هـ/1048م	المسيلة	طرابلس-تلمسان	ابن فرحون، الديباج المذهب، ص164.
فتوح بن غزال الباغاني	446هـ/1058م	باغاية	القيروان	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص777.
يحيى بن عيسى بن علي بن محمد بن أحمد المري أبو الحسن المعروف المنقلي	456هـ/1063م	تلمسان	المرية	ابن الأبار، المعجم، ص322.
أبو مروان الطبني عبد الملك بن زيادة الله الطبني	456هـ/1063م	طبنة	الأندلس-المشرق-القيروان	الضبي، بغية الملتمس، ص330-331. الحميدي، جذوة المقتبس، ص265-266. ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص360 وما بعدها.

				ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص21.
الحسن بن الرشيق أبو علي	463هـ/1071م	المسيلة	القيروان- الأندلس	عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص62.
يوسف بن علي بن حمارة بن محمد أبو القاسم	456هـ/1072م	بسكرة	أصبهان- بغداد	عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص207. ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج3، ص324. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص422. ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص680.
أبو محمد عبد الله بن حمو	473هـ/1080م	المسيلة	المرية- سبتة	ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص298. عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص100.
أبو الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي	513هـ/1119م	قلعة بني حماد	لا يوجد	ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص185.
عتيق بن محمد	ق5هـ/11م	قلعة بني حماد	دمشق- مصر	عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص109.
أبو القاسم ابن أبي مالك	ق5هـ/11م	قلعة بني حماد	القيروان	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص779.
أحمد بن واضح	ق5هـ/11م	بجاية	القيروان	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص445-446.
أحمد بن أبي	ق5هـ/11م	قلعة بني	لا يوجد	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج3،

يعلى الحمادي		حماد		ص621.
أبو حفص عمر بن أبي الحسين العسالوني	ق5هـ/11م	قلعة بني حماد	لا يوجد	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص778.
أبو عثمان ابن أبي سوار (سوسب)	ق5هـ/11م	قلعة بني حماد	لا يوجد	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص721-778.
محمد بن عيسى بن حسين بن أبي السعد ابن سيد الناس بن يوسف التميمي	428هـ/1036م	تاهرت	فاس	القاضي عياض، المدارك، ج4، ص583.
علي (عمر) ابن أحمد البونة	ق5هـ/11م	بونة	عنونة (إفريقية)	الدباغ، معالم، ج3، ص197.
عبد الملك بن سابح (ساحنح) (سباحنح)	ق5هـ/11م	بجاية	الأندلس- الشام- مصر	القاضي عياض، المدارك، ج4، ص446. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص224. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص258.
قاسم بن موسى بن يونس التنني أبو محمد	ق5هـ/11م	جبنة	لا يوجد	ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص474.
أحمد بن مناصح	ق5هـ/11م	بجاية	لا يوجد	القاضي عياض، المدارك، ج4، ص445.
أبو القاسم عبد	ق5هـ/11م	قلعة بني	القيروان	الذيل والتكملة، ج8، ص430.

الجليل بن أبي بكر الربعي		حماد		
أحمد بن أبي توبة	ق5هـ/11م	قلعة بني حماد	لا يوجد	ابن عذاري، بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ص168.

الفقهاء المالكية الذين استوطنوا المغرب الأوسط خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي

اسم الفقيه	سنة الوفاة	المدينة الأصلية	المدينة التي رحل إليها	المصدر
علي بن محمد	407هـ/1016م	تادمير	برقة- إفريقية- مصر	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج3، ص355.
عبد الله بن عبيد الله بن الوليد المعطي	432هـ/1040م	الأندلس	بجاية	القاضي عياض، المدارك، ج4 ص746.
عبد الله بن حمود بن هلوب بن داود بن سليمان يكنى أبا محمد	434هـ/1042م	الأندلس- طنجة- المغرب	تاهرت	ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص29.
إبراهيم بن جعفر الزهري (أحمد بن أبي	435هـ/1043م	سرقسطة	تنيس	ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص95.

جعفر) يعرف بالأشيري				
عبد العزيز بن زياد الله التميمي الطبني	436هـ/1044م	قرعة	طبنة	ابن بشكوال، الصلة: ج2، ص370.
أبو عبد الملك مروان بن علي القطان	قبل 440هـ/1048م	قرعة	بونة– القيروان– المشرق	الحميدي، جذوة المقتبس، ص321. ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص170. ابن الخشني، بغية الملتمس، ص402. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص423. القاضي عياض، ترتيب المدارك: ج4، ص710.
عمر بن عبيد بن زاهر	440هـ/1048م	الأندلس	بونة– المشرق	ابن بشكوال، الصلة: ج2، ص398.
أحمد بن حبيب بن أحمد الأنصاري	450هـ/1058م	قرعة	قلعة بني حماد– القيروان	ابن بشكوال، الصلة: ج2، ص59.
إبراهيم بن يحيى بن محمد بن الحسين بن أسد التميمي السعدي أبو بكر الوزير	461هـ/1068م	قرعة	طبنة	ابن بشكوال، الصلة، ص95–96. الخشني، بغية الملتمس، ص193–194. الحميدي، جذوة المقتبس، ص149–150.
سعيد بن عثمان بن منازل	ق5هـ/11م	البيري	بجاية	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص445.
عثمان بن سعيد	ق5هـ/11م	البيري	بجاية	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص445.

أبو عبد الله محمد بن يحي بن الحسين التميمي	ق5هـ/11م	الأندلس	طبنة	ابن حزم، الرسائل، ج1، ص160-161.

ملاحظـــة: هذه الإحصائيات قامت بها الأستاذة سعيدة لوزري، ينظر: تنبيه الطالب، ص ص 231-235

الفقهاء المالكية في المغرب الأوسط خلال القرن الخامس هجري الحادي عشر الميلادي

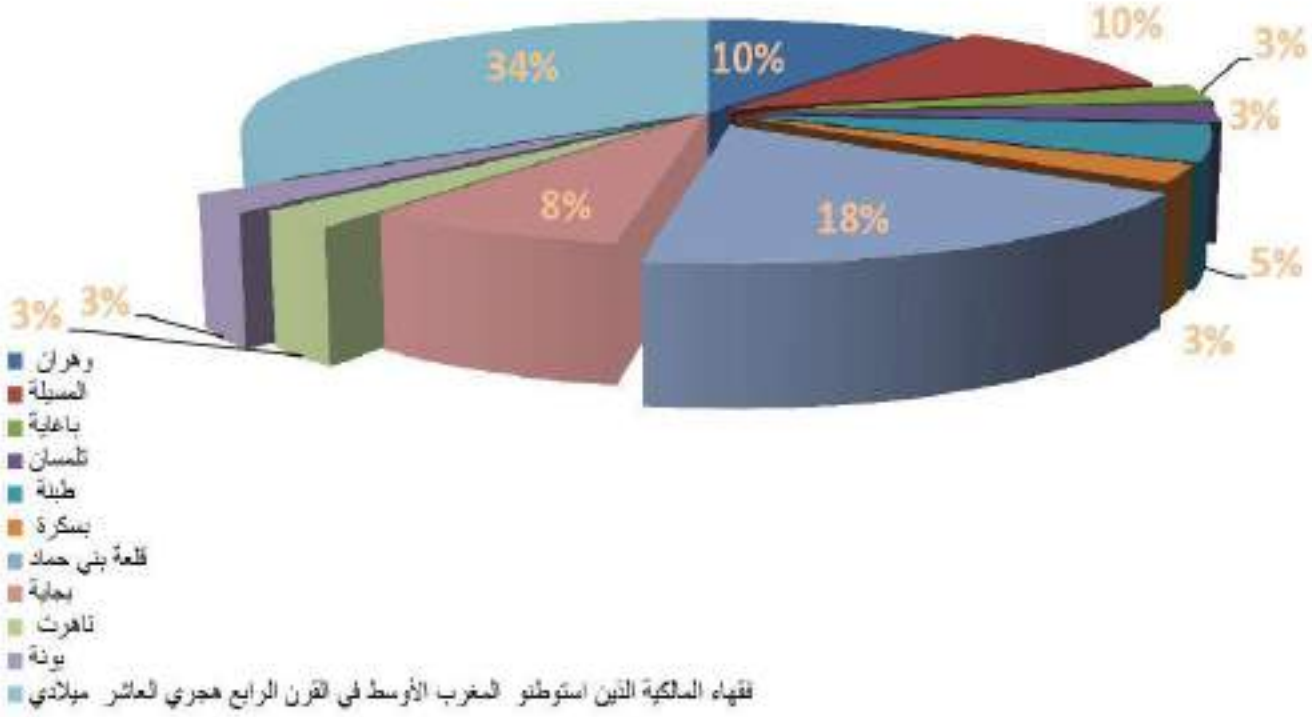

خاتمة

نتائج البحث:

- تمثلت شخصية المذهب المالكي العلمية والمنهجية بالمغرب الأوسط في شخصية الفقهاء الذين تمثلوه نمطا للتدين، ومسلكا للتفقه.
- اعتقاد الفقهاء الجاد في مذهبهم الذي جعلوه وجدانا من كل الأفكار الطارئة، والاتجاهات الدخيلة.
- تأصلت الدراسات الفقهية ببلاد المغرب الأوسط، و صار لها أعلام يمثلونها على مدى العصور الإسلامية.
- كان الفقهاء ببلاد المغرب الأوسط الوعاء الذي حفظ التراث الفقهي المالكي بما قدموه من الدروس و الحلقات و بما أسهموا في المناظرات والحوارات و بما ألفوا من كتب ورسائل.
- لم يكتف فقهاء المغرب الأوسط برواية الفقه و حفظه، بل وقعوا فيه بالتأليف و المدونات التي شاركوا بها في مجالات العلوم الفقهية وغيرها، مثل العقبه الداودي الذي كان موضوع دراسة المذكرة في هذه الدفعة.
- اقتضت رسالة الفقهاء على عهد الدول المستقلة ومسؤولياتهم أن تولوا مناصب في السلطة من أجل تعزيز حضورهم على رأس المجتمع ، كما كان حضورهم في عمقه الاجتماعي و الثقافي.
- شهدت حواضر المغرب الأوسط منذ التأسيسات الأولى نشاطا فقهيا حثيثا بفضل جهود فقهائه.
- أدى الفقهاء المالكية في المغرب الأوسط دورا ايجابيا في أغلب الأحيان ، خاصة خلال العصر الحاضر.
- جاهد فقهاء المغرب الأوسط في تحصيل الفقه من أوعيته مشرقا و مغربا، و نالوا فيه درجات التنظير و الاجتهاد في المذهب.
- كانت للفقهاء إسهامات في تأطير مجتمع بلاد المغرب الأوسط دينيا و اجتماعيا وثقافيا.
- وقد مثلوا ضميره الديني في مواجهة الدعوات ، مثل دعوة الإسماعيليين ، وغيرهم.
- إستطاع فقهاء المغرب الأوسط بحركيتهم التي اتسموا بها موروثا من إمام المذهب أن يجعلوا
- مذهبهم هوية لبلاد المغرب الأوسط.
- أصبحت القلعة مركزا علميا لاستقطاب الفقهاء بعد القرن الخامس الهجري.

- ظهور فقهاء برزوا في بلاد المغرب الأوسط ، كابن النحوي الذي تتلمذ على يده ابن الرماعة
- من فاس ، والمازري من تونس ، و أبو عمران الفاسي.

بعد هذا البحث المتواضع تبقى إشكالية تطرح نفسها ويجب على دارسي التاريخ التبش فيها وهي:

بقي موازيا لما ؟ هل ألغى المذهب المالكي المذاهب الأخرى بالمغرب الأوسط أم بقي.....

آفاق البحث

- فقهاء المغرب الأوسط ظاهرة عقلية واجتماعية تحتاج الدراسة وفهم دقيق لحركة المجتمع في بلاد المغرب الأوسط. التعمق في تحليلها من أجل فهم دقيق حركة المجتمع في بلاد المغرب الأوسط.
- دراسة المؤلفات والمدونات الفقهية التي خلفها فقهاء المغرب الأوسط من أجل معرفة بنية العقل الفقهي عند أسلافنا.
- الفقهاء المالكية في بلاد المغرب الأوسط نموذجية لدراسة أعلام الفقه ودور كل فقه في تشكيل العقل الفقهي ، و تكوين الشخصية المذهبية.
- الفقه المالكي موروث ديني ووطني يستحق الدراسة و التحليل في سياق تاريخي.
- تدعوا الدراسات السوسيو ثقافية التفتح على الموروث الفقهي لبلاد المغرب الأوسط من أجل تحقيق دراسة في التاريخ الثقافي.
- تتوجه الدراسات التاريخية المعاصرة إلى تاريخ الذهنيات ، ويمثل فقهاء المغرب الأوسط عينات واقعة
- في هذا المجال سواء على مستوى الفرد، أو المجتمع، أو العصر.

الملاحق

الملحق 1

رسالة محرز بن خلف إلى باديس بن منصور

وحدثني من أثق به أن رجلا أتي المؤدب نفع الله به، يستجير من مظلمة نالته من قبل باديس بن المنصور، فكتب رقعة فيها بعد البسملة والصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – خير الملة: من محرز إلى باديس حقق الله الحق في قلوب المؤمنين من عباده، ونقل المذنبين إلى ما افترض من طاعته، أنا رجل قد عرف كثير من الناس اسمي، وهذا من البلاء، وأسأل الله تعالى، أن يتغمدني برحمة منه وفضل، وربما أتى المضطر يسأل الحاجة، فإن رددته خفت، وإن التزمت ذلك فهذا أشد، وقد ورد على رجل يزعم أنه طلب في دراهم ظلما وخوف، وليست عنده فاعمل عملي رضي من لا بد لك من لقائه، واستحي ممن بنعمته وحدت لذاذة العيش ولا يغرنك حلم الله تعالى عنك، ولا تعاد من أنت محتاج إليه، وحاذر بطانة السوء فإنهم يأكلون دراهمك ويغربون من الناس لحمك ودمك، وشاور في أمرك من يتقي الله، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا، ومن يتق الله يجعل له مخرجا، واستعن بالله فإنه من يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شيء قدرا، خاف ممن لا يحتاج إلى عون عليك، بل لو شاء لأزال أخرجك عن نفسك حتى لا يكون ملائكة عمي يدك، سالما تسلم، أنت على رجيل فخذ في الزاد والسلام على من اتبع الهدى" .

كتاب تنبيه الطالب ص 249

الملحق 2

خطبة القاضي أبو عبد الله محمد بن جعفر الكفي سنة 440هـ – 1048م

لإعلان القطيعة الفاطميين التي أمر بها المعز بن باديس بلعن العبيديين في يوم عيد الفطر

اللهم والعن الفسقة الكفار الفجار أعداء الدين وأنصار الشياطين المخالفين لأمرك والناقضين عهدك المتبعين غير سبيلك والمبدلين لكتابك، اللهم العنهم لعنا وبيلا، وأخزهم خزيا طويلا، اللهم وإن مولانا وسيدنا أبا تميم المعز بن باديس ابن المنصور القائم بدينك والناصر لسنة نبيك والرافع للواء أوليائك يقول مصدقا لكتابك وتابعا لأمرك، مبايننا لمن غير الدين وسلك غير سبيل المرشدين المؤمنين : " يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد" ، هكذا بإسقاط قل من أول السورة وترك لكم دينكم ولي دين لتعلق الأمر بالمرتد.

كتاب تنبيه الطالب، ص253

الملحق 3

رسالة إدريس الأول إلى مصر داعيا إلى الالتفات حول الالتفاف حول أهل البيت

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فالحمد لله رب العالمين لا شريك له الحي القيوم، والسلام على جميع المرسلين وعلى من اتبعهم وأمن بهم أجمعين، أيها الناس إن الله بعث نبيه محمدا صلى الله عليه و آله وسلم بالنبوة، وخصه بالرسالة وحباه بالوحي، فصدع بأمر الله وأثبت محبته وأظهر دعوته وأن الله جل تناؤه خصنا بولايته وجعل فينا ميراثه ووعده فينا وعدا سعى له به، فقضاه إليه محمودا لا حجة لأحد على الله ولا على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فلله الحجة البالغة، فلو شاء لهداكم أجمعين فخلفه الله جل تناؤه بأحسن الخلافة، وغذانا بنعمته صغارا وأكرمنا بطاعته كبارا وجعلنا الدعاة إلى العدل القائمين بالقسط الغالبين للظلم، وهو قليل، إذ وقع الجور، طرفة عين عن نصحنا أمتنا والداعين إلى سبيل ربنا جل تناؤه، فكان مما خصته أمته فينا أن سفكوا دماءنا وانتهكوا حرمتنا وأيتموا صغيرنا وقتلوا كبيرنا واتكلوا نساءنا حملونا على الخشب وخادوا رؤوسنا على الأطباق فلم نكل ولم نضعف بل نرى ذلك تخفة من ربنا جل تناؤه وكرامة أكرمنا بها، فمضت بذلك الدهور، واستملت عليه الأمور وترى منا عليه الصغير وهرم عليه الكبير.

كتاب تنبيه الطالب، ص243

الملحق 4

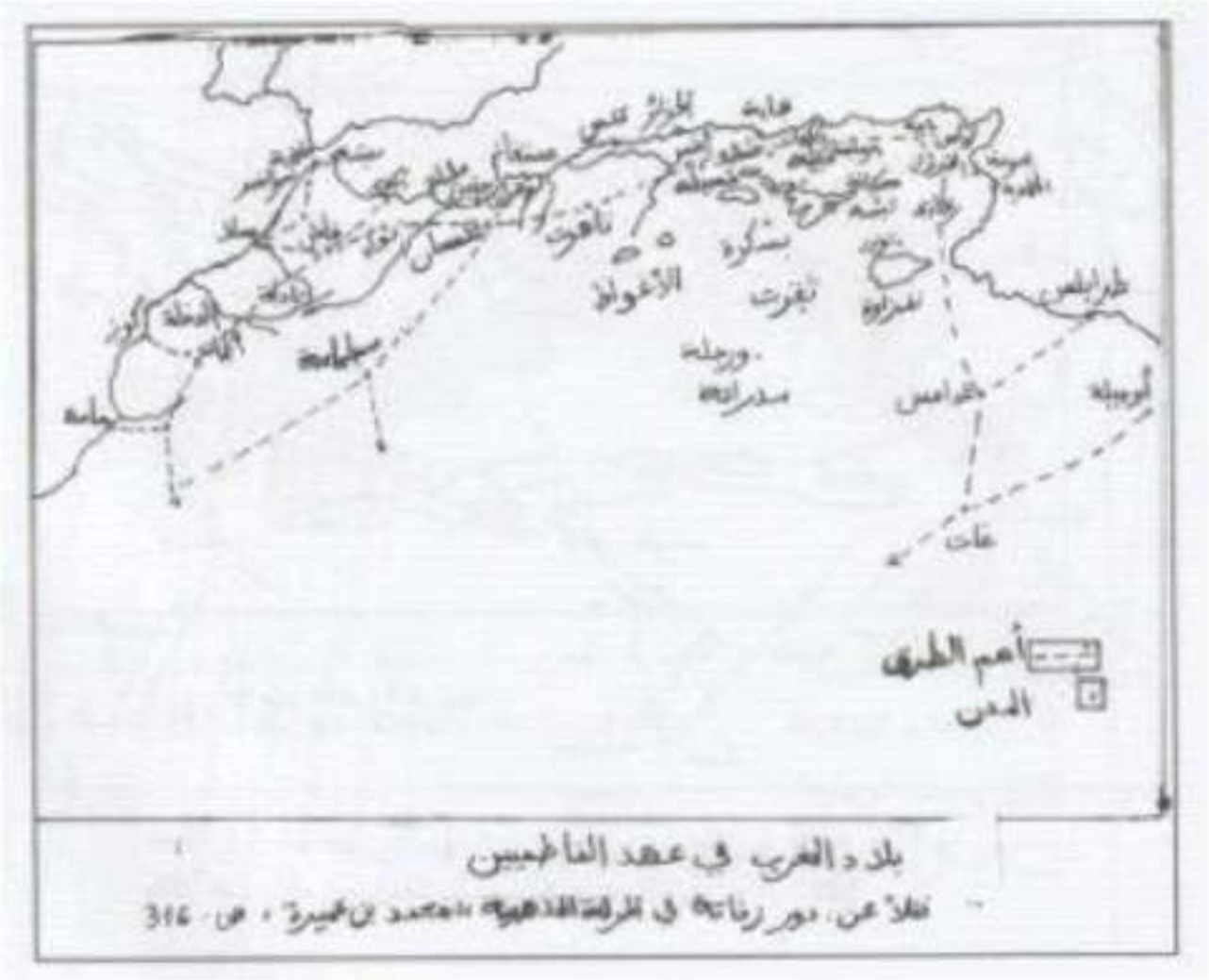

بلاد المغرب في عهد الفاطميين

نقلا عن: دور زناتة في الدولة الفاطمية «محمد بن عميرة» ص 316

كتاب تنبيه الطالب ص 255

الملحق 5

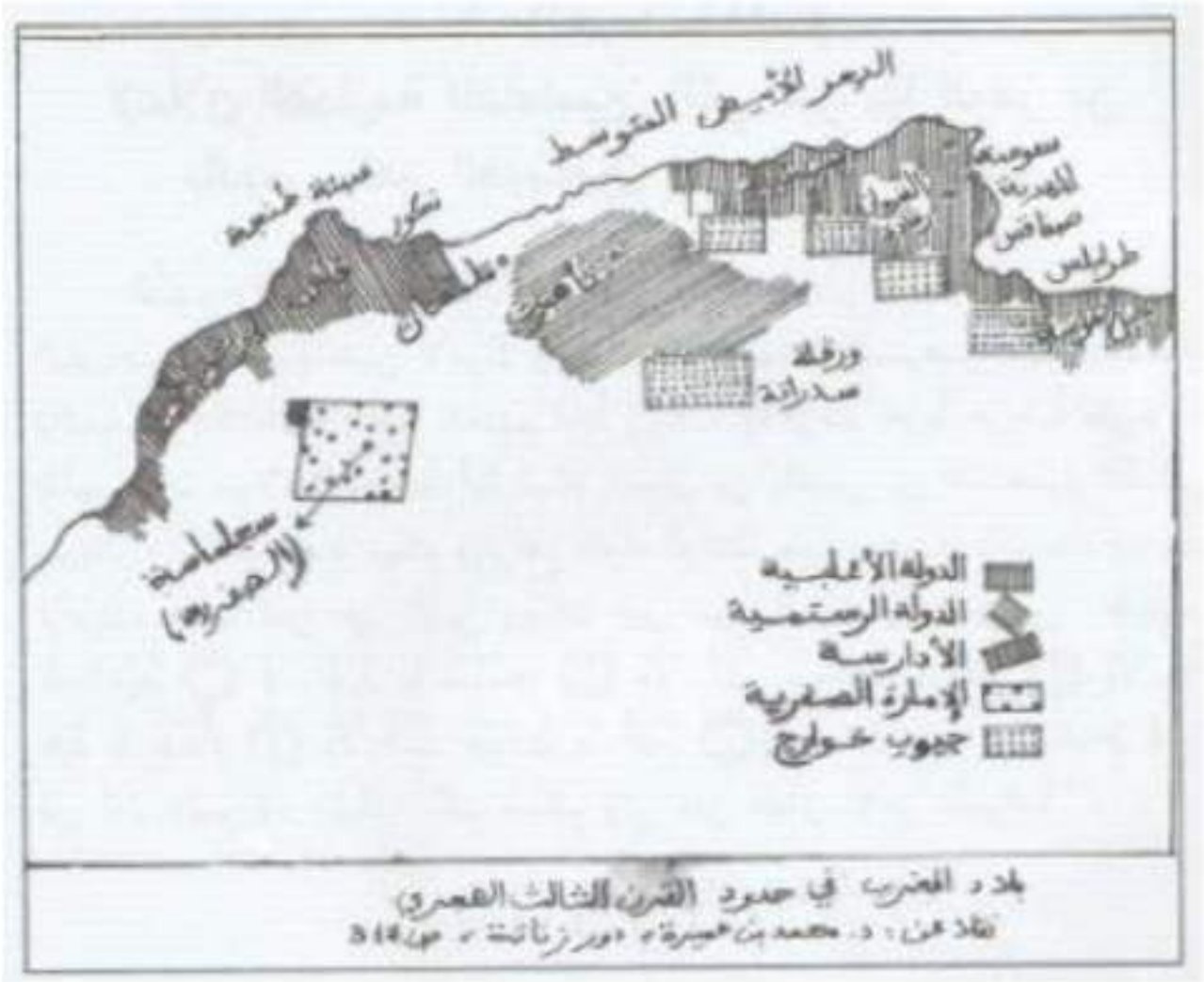

بلاد المغرب في حدود القرن الثالث الهجري
نقلا عن: د. محمد بن عميرة، دور زناتة، ص 514

كتاب تنبيه الطالب ص 254

المصادر
والمراجع

المصادر:

- القرآن الكريم
- الحديث الشريف

- ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، حي 724 هـ - 1324م): الأنيس المطرب في روض القرطاس: منشورات دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.
- ابي الأثير محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، (ت 630هـ - 1238م) الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ1987..م
- أبو إدريس (عماد الدين ، ت 872 هـ - 1488م): تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد البعلاوي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.
- أبو إدريس ابن عبد الرحمن القرشي ت (872هـ) عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار تقديم وتحقيق مصطفى الغالب، بيروت، لبنان: تاريخ النشر 1411هـ - 1991م.
- الإدريسي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس ت 6هـ - 12م): المغرب العربي من نزهة المشتاق، حققه وترجمة إلى الفرنسية محمد حاج صادق الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية 1983م.
- الأشعري (أبو الحسن بن علي بن إسماعيل. ت 330هـ -1941) مقالات الإسلاميين، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط2، 1405هـ - 1985م.
- الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي 346هـ - 957م) مسالك وممالك تحقيق محمد جابر خويه، إصدارات فؤاد سزكين جامعة فرانكفورت، جمهورية ألمانيا الاتحادية، 1413هـ - 1992م.
- الإمام مالك الموطأ رواية علي ابن زياد التونسي العبسي ، تحقيق فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر: الدار التونسية للنشر، تونس، 1399هـ - 1978م.
- الامدي (سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي محمد الإحكام في أصول الأحكام، ضبطه إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت: د.ت.

- البارودي (سليمان بن الشيخ عبد الله) وع (1259هـ -1940م): كتاب الأزهار الرياض في أئمة وملوك الإباضية القاهرة، د.ت.
- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، ت 256هـ - 869م)، صحيح البخاري، ط2 دار السلام، الرياض، دار الفيحاء، دمشق، 1419هـ - و 199م.
- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578هـ (1183م) كتاب الصلة منشورات دار الهيئة، مصر، 2008م.
- البغدادي (عبد القادر بن طاهر بن محمد: الفرق بين الفرق، ط2، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، دار النمودجية، بيروت، 1413هـ - 1993م.
- البكري عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمر أبو عبيد 487هـ - 1094م): المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، وهو جزء من المسالك والممالك، نشره بارون دوسلان ،الجزائر 1957م.
- الترمذي محمد بن عيسى بن سورة ت 279هـ - 892م) السنن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1417هـ / 1997م. ؛ صحيح سنن الترمذي، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1422هـ - 2000م.
- ابن تغري بردي جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي ت 874هـ 1469م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدمه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت 1413هـ - 1992م .
- التنبكتي (أبو العباس أحمد بابا أحمد الصنهاجي السوداني ت 963 - 1555م) نيل الابتهاج بتطريز الديباج،د.ت.
- التنسي (أبو عبد الله، ت 899هـ - 1494م) تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدر والعقيان تحقيق عبد الحميد حاجيات المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- الجزنائي (علي، ت 766 - 1365م)، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ - 1991م.

- الجودي (أبو عبد الله محمد بن صالح التميمي القيرواني، ت 1373هـ - 1943م): تاريخ قضاة القيروان، تقديم وتحقيق أنس بن الشيخ محمد العلاني، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، تونس، 2004م.
- الجودري أبو عمي منصور العزيز سيرة الأستاذ جودر، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي، دار الفكر العربي، مصر، د.ت.
- الحجوي محمد بن الحسن الثعالبي الفاسي، ت 1376هـ - 1956م): الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، مطبعة النهضة، تونس، د.ت.
- ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت 456 هـ - 1063م): رسائل ابن حزم، ج2، تحقيق إحسان عباس المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1987م.
- الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج3، دار صادر، بيروت 2007م - ابن حوقل أبو القاسم محمد النصيبي ت بعد 367هـ - 977م):
- الحميدي (أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي ت 488 هـ - 1095م): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، منشورات دار الهنة المصرية العامة للكتاب، 2008م.
- ابن حنبل (أحمد ت 241هـ - 856م) المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، 1413هـ / 1992م. - الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي ابن عماد، ت 1089هـ - 1687م):
- ابن حنبل، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- ابن حوقل، صورة الأرض منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م.
- ابن حيان القرطبي (أبو مروان حيان بن خلف بن حيان ، ت 422 - 1031م): المقتبس من أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1393هـ - 1973م.
- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت 272هـ - 885م): المسالك والممالك، تحقيق محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ - 1988م.
- الخشني (أبو عبد الله محمد بن الحارث بن الأسد القيرواني ت 361هـ - 971م) قضاة قرطبة

- ابن الخطيب (لسان الدين: الوزير الغرناطي القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب الدار البيضاء، المغرب، 1964م.
- ابن خلدون (عبد الرحمن، ت 808 – 1405م) تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1422هـ – 2000م
- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، ت 681هـ – 1282م)، وفيات الأعيان، حققه: إحسان عباس دار صادر، بيروت، 1968م.
- الداودي (أبو جعفر أحمد بن نصرت 402 1011م): الأموال، دراسة تحقيق مركز الدراسات الفقهية، محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة .1421هـ – 2001م
- الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي، ت 696هـ – 1296م): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان أكمله وعلق عليه ابن ناجي أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى، (ت839هـ – 1435م) تحقيق الأول : إبراهيم شبوح، تونس 1313هـ –1993م.
- الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد، ت 670/1271م)، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، الجزائر، 1974م.
- ابن دينار (محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، ت 1092هـ – 1681م): المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، دار المسيرة، بيروت، 1993م.
- ابن الرقيق القيرواني أبو اسحاق ابراهيم بن قاسم ت (420هـ (1029م) تاريخ إفريقية والمغرب، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور محمد زينهم محمد، ط1، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1414هـ – 1994م.
- أبو زكريا يحي بن أبي بكر كتاب السير المعروف بتاريخ أبي زكريا، تحقيق إسماعيل العربي 3 ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.
- الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، كان حيا 532هـ – 1137م): كتاب الجغرافية، تحقيق حاج صادق، دمشق، 1968م.

- سعد (محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري: ت 230هـ - 1286م): الطبقات الكبرى تحقيق محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، 1418هـ -.1997م.
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن الشافعي، ت 916هـ - 1505م): طبقات الحفاظ، 2 دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ - 1994م.
- الشماخي (أبو العباس أحمد بن سعيد: ت 928هـ - 1522م): كتاب السير، يتراجم علماء المغرب إلى نهاية القرن 45/9م، تحقيق ودراسة محمد حسن : كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس، 1995م.
- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد، ت 548هـ - 1153م): الملل والنحل: تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور 6، دار المعرفة، بيروت، 1417هـ .
- الشيرازي (أبو إسحاق الشافعي، ت 476 - 1083م) طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس دار الرائد العربي: بيروت، لبنان، 1970م.
- ابن الصغير (حي القرن 3هـ - 9م): أخبار الأئمة الرستميين: تحقيق و تعليق محمد ناصر وبلحاج براهيم، دار الغرب الإسلامي، 1406هـ - 1986م.
- الصنهاجي (أبو عبد الله محمد الحمادي: ت 626 -1230م) أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- الضبي أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة، ت 599هـ - 1202م) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، منشورات دار الجنة المصرية العامة للكتاب، 2008م.
- طاهر الفارسي: مناقب محرز بن خلف ، ترجمة وتحقيق روحي إدريس، منشورات جامعة الآداب واللغات الجزائر، 1956م.
- ابن عبد ربه أبو أحمد بن محمد الأندلسي، ت 328هـ - 940م): العقد الفريد، ط2، تحقيق محمد التونجي: دار صادر، بيروت، 1427هـ - 2006م.
- ابن عذاري (أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله المراكشي ت 712هـ - 1312م): البيان المغرب
- ابن العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي ت 333هـ - 945م): طبقات علماء إفريقية: جمع وتحقيق محمد بن شنب ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006م.

- العسقلاني (ابن حجر 852هـ - 1448م): الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي دار الجيل، بيروت، لبنان، 1412هـ - 1992م.
- أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل بن علي بن علي محمد بن عمر صاحب حماة: ت 732هـ - 1331م): تقويم البلدان، مكتبة المثنى، بغداد، دار الكتاب العربي اللبناني، 1840م.
- ابن فرحون أبو الوفاء إبراهيم بن نور الدين ت 799هـ - 1397م: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب دراسة وتحقيق مأمون بن يحي الدين الجنان، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1417هـ - 1996م.
- ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي: ت 403 هـ - 1013م) تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ -.1997م.
- القاضي أحمد بن محمد: ت 1025هـ - 1616م): جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس، 1309هـ - 1891م.
- القاضي النعمان (أبو حنيفة بن محمد بن حيون التميمي، كان حيا 363هـ - 974م)، افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي 2 شركة تونس للتوزيع ديوان المطبوعات الجامعية، تونس 1986م.
- القاضي النعمان ، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل البيت الرسول عليه وعليهم أفضل السلام تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، الإسكندرية، مصر 2003م.
- القاضي النعمان: كتاب المجالس والمسايرات ؛ تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجامعة التونسية، تونس، 1978م.
- القاضي عياض (أبو الفضل بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، ت 544هـ - 1149م) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، منشورات دار الحياة، بيروت، ودار الفكر لبنان، د.ت.
- ، اهمة في أنباء الأئمة، تحقيق محمد كامل حسين دار الفكر العربي، 2002م.

- ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، ت 276هـ - 889م): الإمامة والسياسة تحقيق: طه محمد الزيني، دار المعرفة، د.ت.
- القزويني خليل بن عبد الله بن خليل الحنبلي، ت 446هـ - 1055م): الإرشاد في معرفة علماء الحديث، ضبطه الشيخ عامر أحمد حيدر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1414هـ .
- ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم، ت 367هـ -977م): افتتاح الأندلس، تحقيق إحسان عباس المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.
- القيرواني ابن أبي زيد: كتاب الجامع، تحقيق محمد أبو الأجفان و عثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة بيروت، والمكتبة العتيقة: تونس ، 1403هـ - 1983م.
- الكتاني: الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس1307هـ - 1889م.
- ابن الكثير (عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الدمشقي ت 7741372م): البداية والنهاية، راجع نصه وضبطه وقدم له: سهيلزكار، دار حماد: بيروت 1426هـ - 2005م.
- ابن الابار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ، ت 658 هـ - 1260م): الحلة تحقيق حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م.
- البيذق (أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ت 440 هـ - 1049م): مناقب أبو إسحاق الجنباني، تحقيق وترجمة هادي روجي إدريس منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الجزائر 1956م.
- ابن ماجة (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت 273هـ - 886م): السنن، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1417هـ -1997م.
- المالكي (أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله محمد، ت 474هـ - 1082م): رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبادهم ونسائهم وسير من أخبارهم وفضائلهم

وأوصافهم، من الفتح العربي إلى آخر سنة 300هـ، تحقيق حسن مؤنس، مكتبة النهضة، القاهرة1951م.

- مجهول كاتب مراكشي (6هـ - 12م) الاستبصار في عجائب الأمصار، نشره وترجم قسم منه إلى فرنسية سعد زغلول عبد الحميد، إصدارات فؤاد سزكين، معهد التاريخ والعلوم العربية، جمهورية ألمانيا الاتحادية، 1418هـ - 1997م.
- ابن مخلوف (محمد بن محمد بن عمر بن قاسم ت 1360هـ - 1941م)، شجرة نور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خياني دار الكتب العلمية، بيروت 1424هـ - 2003م
- المراكشي (أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي الذيل والتكملة: تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
- المراكشي (عبد الواحد، ت 647 هـ - 1249م) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق محمد السعيد عريان: القاهرة، 1963م.
- المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الحنفي المعروف بالبشاريت 387 - 997م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، حققه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي بيروت 1408هـ - 1987م.
- المقري (أحمد بن محمد التلمساني، ت (1041هـ - 1632م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس دار صادر، بيروت، 1388هـ - 1968م.
- المقريزي تقي الدين بن علي، ت 845هـ - 1442م) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، ط2، القاهرة، 1416هـ - 1996م.
- الناصري أحمد بن خالد، ت 1315هـ - 1897م): الإستقصا في أخبار المغرب الأقصى منشورات وزارة الثقافة والاتصال، تحقيق محمد حجي، وابراهيم بوطالب، وأحمد توفيق، 2001م.
- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت 677هـ - 733م): نهاية الأرب في فنون الأدب تحقيق حسين النصار ومراجعة عبد العزيز الأهواني: القاهرة، 1403هـ - 1983م.

- الونشريسي أحمد بن يحي، ت 914هـ / 1509م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه جماعة من الفقهاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1401 هـ - 1981م
- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ت 284هـ - 898م) البلدان، دار إحياء التراث العربي، تحقيق محمد الحاج صادق، دمشق، 1968م.

المراجع العربية والمعربة

- العنتوي إبراهيم: بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1970م.
- أنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمه من الإسبانية، حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1428هـ - 2006م
- .
- بحاز إبراهيم الدولة الرستمية 2، نشر جمعية التراث، قرارة، الجزائر، 1414هـ - 1993م.
- بحاني بوبة: أثر العرب اليمنية في تاريخ المغرب في القرون الأولى للهجرة، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2003م.
- التازي عبد الهادي: جامع القرويين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972م.
- بحاز إبراهيم بن بكير وآخرون: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، ط2، دار الغرب غرب) الإسلامي، بيروت، 1421هـ - 2000م.
- تيمور أحمد: المذاهب الفقهية الأربعة، دار الآفاق العربية القاهرة، 1431هـ - 2001م.
- الجنحاني الحبيب: القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب الدار التونسية
- حودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م
- الجيدي عمر: محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، منشورات عكاظ الرباط 1407هـ - 1987م

- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد: تاريخ الجزائر العام طلا دار الثقافة، بيروت، 1400هـ - 1980م.
- مؤنس حسين: فجر الأندلس الشركة العربية للنشر والطباعة القاهرة، 1959م.
- الخضري بك محمد تاريخ التشريع الإسلامي، دار شريفة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.
- أبو زهرة محمد: تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة. د.ت.
- ـــــ، القضاء في المغرب العربي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية) 296 - 96 هـ / 715-909م)، الياقوت: الأردن، 2001م.
- زغلول سعد عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، منشأ المعارف بالإسكندرية، 1976م.
- غراب سعد: العامل الديني والهوية التونسية، الدار التونسية للنشر، 1990م.
- القعيمي سيف الدين : ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع دمشق، سوريا، 1993م.
- بن عاشور الطاهر محمد: المحاضرات المغربيات ، جمع وإعداد عبد الكريم محمد، الدار التونسية للنشر، 1394هـ -1974م.
- نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى منتصف القرن العشرين منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1971م.
- عبد الحليم عويس صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الشروق، القاهرة، 1400هـ-1980م.
- بن حمدة عبد الحميد: المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، تونس، 1406هـ 1986م عبد العزيز سالم: المغرب الكبير العصر الإسلامي دراسة تاريخية وحضارية وأثرية دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.
- محذوب عبد العزيز: الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية ، الدار التونسية للنشر تونس 1395هـ - 1975م.
- عبد الوهاب بن منصور: أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، الرباط، 1399هـ - 1979م.

- العزم داود محمد: الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين المكتبة الفيصلية: مكة المكرمة، 1405هـ - 1985م.
- علاوة عمارة: دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر المغرب الإسلامي، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.
- بن عميرة محمد دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984م.
- الفرادي: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمه عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.
- الدشراوي فرحات: الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ / 909-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات ترجمة حمادي الساحلي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.
- فيلالي عبد العزيز العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
- كنون عبد الله النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ط3، دار الكتاب اللبناني، 1396هـ - 1975م.
- كراتشكوفسكي اغناطيوس اليانوفتش: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، دار المغرب الإسلامي بيروت، 1408هـ -1987م.
- للنشر 1968م.
- الثعالبي محمد: الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184-296هـ /800-909م، ترجمة المنجي الصيادي: مراجعة وتحقيق حمادي الساحلي، ط2، دار المغرب الإسلامي، 1415هـ - 1995م.
- محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع، دار الثقافة، دار البيضاء المغرب، 1406هـ - 1985م.
- مرمول محمد الصالح السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

- مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، من أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بسورية، 1953م.
- المطوي محمد العروسي: سيرة القيروان رسالتها الدينية والثقافية في المغرب الإسلامي دار العربية للكتاب ليبيا، تونس، 1981م.
- مناع القطان: تاريخ التشريع الإسلامي، 26 مؤسسة الرسالة ، 1419هـ - 1998م.
- موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.
- الميلي مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث مكتبة النهضة، الجزائر، 2004م.
- نجم الدين الهنتاتي المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ 11 م. منشورات تبر الزمان، تونس، 2004م.
- هادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية) تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، 1992م.

الملتقيات

- أبو الأحفان: رحلات الأندلسية إلى الحرمين ضمن السجل العلمي الندوة الأندلس مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1417هـ - 1998م.
- تاويت الطنجي: دوة الرستميين أصحاب تاهرت صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، عدد خاص بمناسبة خمس سنوات على إنشائها، العدد 1-2، 1377هـ - 1957م.
- التواتي بن التواتي: الإمام مالك رائد مدرسة المدينة أعمال الملتقى الوطني الثالث للمذهب المالكي 29-30 ربيع الأول الموافق ل 17-18 أفريل 2007م، تنظيم وزارة الشؤون الدينية بالتعاون مع ولاية عين الدفلى دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين الجزائر.
- الجنحاني الحبيب: العلاقات السياسية والاقتصادية بين إفريقيا والمغرب الأوسط فيما بين القرن 2-5-11م، كتاب الأصالة محاضرات ملتقى الفكر الإسلامي الثاني عشر، وزارة الشؤون الدينية 11-4- اشوال 1389هـ / 7-14 ديسمبر 1978م، باتنة، الجزائر

- الجيدي عمر: محاربة المذهب المالكي في المغرب، مجلة دعوة الحق، العدد 225 أكتوبر- نوفمبر الرباط.
- الحافظي حسن علوي: المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب من التعدد إلى الوحدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1429هـ - 2008م.
- حمزة أبو فارس: مدونة الإمام سحنون، محاضرات منتقى الإمام سحنون 7-8-9- جمادي الثانية 1412هـ، 13-14-15 ديسمبر 1991م، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان تونس، 1993م.
- خالدي عبد الحميد: الحياة العلمية ببجاية الحمادية وأثرها في الحضارة الإسلامية، ضمن محاضرات الموسم الثقافي 1998-1999، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى: الجزائر، 1420هـ -1999م.
- خلف محمد نجيب: أوصاف الجزائر في كتابة أبي عبيد الله البكري، ضمن مشاريع الوطنية للبحث في تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007م.
- الشريف محمد: جغرافية التيارات المذهبية بالمغرب الإسلامي كما يعكسها الجغرافيون المشارقة حتى القرن 4هـ / 10م)، ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط،2008م.
- الطالبي محمد: الأوضاع التي مهدت لقيام دولة الفاطميين في إفريقية، ضمن منتقى القاضي النعمان، منشورات الحياة الثقافية، وزارة الشؤون الثقافية، تونس، 1981م.
- عبد الهادي حسين: دخول المذهب المالكي إلى بلاد المغرب الإسلامي، مجلة دار الحديث الحسنية، الرباط، العدد 3، 1982م.
- القاضي وداد: مؤرخ الدولة الرستمية مجلة الأصالة، العدد 45، السنة الخامسة، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر ، 1397هـ - 1976م.
- القبال موسى: من قضايا التاريخ الرستمي، مجلة الأصالة، العدد 41 منتقى الحادي عشر الفكر الإسلامي، ورقلة، الجزائر، السنة السادسة محرم 1397هـ موافق الجانفي 1977م.

- ماريا خيسوس: فيغيرا محمد وعبد الرحمن في قرطبة مجلة الأصالة، العدد 45، السنة الخامسة وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، جمادي الأولى 1397هـ / ماي 1977م.
- المدرسة المالكية في إفريقية في عهد سيادة القيروان، بحوث الملتقى الأول للقاضي عبد الوهاب البغدادي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 1425هـ 2004م.
- الملكي محمد الناصري المذهب المالكي مذهب المغاربة المفضل، ندوة الإمام مالك أمام دار الهجرة فاس، 9-10-11-12 جمادى الثاني 1400هـ/25-56-27-28 أفريل 1980م.
- الملكي محمد علي: القاضي شاعر المغرب، في 3 هـ - وم، مجلة العربي، العدد 53، 1962م.
- المرزوقي مصطفى: قيام المدرسة المالكية بالأندلس منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية سلسلة ندوات ومحاضرات 1998م.
- المنتاني نجم الدين: الأحباس بافريقية وعلماء المالكية إلى منتصف القرن 6/12م، الكراسات التونسية العدد 174، الثلاثية الثالثة، تونس، 1996م
- -يقوت سالم: المناخ الفكري بالأندلس ودور المالكية في تشكيله، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، رقم 118، الرباط، 2005م.

الرسائل

- بوبة مجاني: النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي (296-362هـ / 909 973م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، 1415هـ/ 1995م.
- بوعفادة عبد القادر: المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرنين الثاني والثالث للهجرة الثامن والتاسع للميلاد، رسالة ماجستير في تاريخ الوسيط ، 2004م.
- دلال لوافي: عامة القيروان في العصر الأغلبي (184-296هـ / 800-908م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، 1423هـ - 2002م.

- بي عمورة محمد: الموارد المالية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، 2004م، 2005م.

3- المراجع باللغة الأجنبية:

- Alfred (B) La Religion Musulmane en Berbérie, établissement et développement de l'Islam en Berbérie du
- Manaqib d'Abu Ishaq Al-Jabanyani, introduction et traduction par Hady Roger Idris, publication de la faculte des lettres et sciences humaines d'Alger, presses universitaires de France, Paris, 1959.
- -Bousquet (G. H)
- Art Malikiyya dans E.I,T. VI.
- Brunschvig (R) Logique et le droit dans l'Islam, dans l'études d'islamologie, édition G.
- p. Maisonneuve et la rousse, Paris, 1976,
- Fiqh Fatimide et histoire de l'Ifriqiya.
- Golvin(L) Le megrib central a l'époque des Zirides, Gouvernement général de TAlgérie sous- direction des beaux-arts missions archéologiques, paris, 1957.
- Idris (H. R)Le crépuscule de l'école malikite Kairouanaise, les cahiers de. Tunisie revue de sciences humaines fin du (xi siecle), 48 trimestre, No-16, Tunis, 1956.
- Sur le retour des Zirides a l'obédience fatimide, annales de l'institut D'études orientales, Alger, T.XI, 1953.
- Une des phases de la lutte du malikisme contre le shiisme sous les Zirides, les cahiers de Tunisie, revue de sciences humaines, 4 trimestre, N° 16, Tunis, 1956.
- Deux juristes Kairouanais de lépoque Ziride, Ibn AbiZaid et AlQabisi (Xe XIe e siecle, annales de l'institut D'études orientales, Alger, T.XII, 1954,
- Note sur l'Identification de la Risala d'Ibn AbiZaid al-Qairawani, lescahiers de Tunisie, revue de sciences humaines, Tunis, T.I, 1953.
- Art Hammadides dans E.I.T. III.

- -Launois(A) Influence des docteurs malikites sur le monnayage Ziride de type sunnite et sur celui des Almoravides, Arabica, revue d'études arabes, T.XI, 1964.
- -Lewicki(T) Art Ibadiyya dans E.I, T.III. 2
- Madelung (W) Art Ismmaiiliyyadans E.I, T. III.

Provençal (E) Art Rustumides dans E.I, T. III

فهرس الموضوعات

الفصل الأول : المغرب الأوسط في ظل المرجعية المالكية	02
أولا: الموقع الجغرافي والأبعاد الحضارية للمغرب الأوسط	02
ثانيا: الجذور التاريخية والبيئة الحاضنة للمذهب المالكي بالمغرب الأوسط	10
ثالثا: نماذج من الفقهاء المالكية بالمغرب الأوسط	19
الفصل الثاني : المذهب المالكي بالمغرب الأوسط في العهد الفاطمي دراسة في الأدوار والتحديات	28
أولا: البنية السياسية والدينية للمغرب الأوسط خلال العهد الفاطمي	29
1. ملامح الحكم الفاطمي في بلاد المغرب الأوسط	31
2. سياسات التحول المذهبي في المغرب الأوسط في العهد الفاطمي	40
ثانيا: معارضة المالكية للتشيع الفاطمي في المغرب الأوسط	46
1. محنة الفقهاء المالكية في ظل التشيع الفاطمي	46
2. المقاومة الفكرية	48
ثالثا: سياسات الدولة الفاطمية تجاه المالكية وانعكاساتها في المغرب الأوسط	52
1. السياسة الادارية :	52
2. السياسة الدينية:	55
الفصل الثالث: المالكية بالمغرب الأوسط في العهد الحمادي ودورهم في ترسيخ المذهب وبناء الدولة	66
أولا : بنو حماد والمذهب المالكي: سياق النشأة واتجاه المذهبي	66
ثانيا : المذهب المالكي كدعامة استقرار للدولة الحمادية	67
ثالثا : المالكية والشرعية السياسية في الدولة الحمادية	68
خاتمة	84
الملاحق	87

قائمة المصادر والمراجع	93

الملخص :

عنوان هذا البحث هو دور الفقهاء المالكية في عهد الدول المستقلة بالمغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة من القرن الثالث هجري التاسع الميلادي) إلى غاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي). تناولناه في ثلاثة فصول أولها ذكرنا فيه موقع المغرب الأوسط الجغرافي مع إنتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب الأوسط ، وبعض النماذج من الفقهاء المالكية فيه. أما الثاني فتطرقنا إلى دور فقهاء المالكية خلال العصر الفاطمي ومقاومتهم للتشيع الإسماعيلي بشتى الوسائل وأهمها المعارضة بالتأليف. أما الفصل الثالث تحدثنا عن دور فقهاء المالكية بالمغرب الأوسط خلال العصر الحمادي وكيف كان دورهم في إستقرار الحكم بالإضافة إلى أهم الحواضر "كبجاية" التي برز فيها فقهاء أدوا دورا هاما في إنتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط ، والحفاظ عليه كهوية لمجتمعه. واستحصلنا في الأخير على بعض النتائج و الآفاق ، فمن نتائجه:

- اعتقاد الفقهاء الخاطئ في مذهبهم الذي جعلوه وعاء من كل الأفكار الطارئة والاتجاهات الدخيلة.
- كان الفقهاء ببلاد المغرب الأوسط الوعاء الذي حفظ التراث الفقهي المالكي بما قدموه من الدروس والحلقات و بما أسهموا في المناظرات والحوارات و بما ألفوا من كتب ورسائل.
- اقتضت رسالة الفقهاء على عهد الدول المستقلة ومسؤولياتهم أن تولوا مناصب في السلطة من أجل تعزيز حضورهم على رأس المجتمع ، كما كان حضورهم في عمقه الاجتماعي والثقافي.
- شهدت حواضر المغرب الأوسط منذ التأسيسات الأولى نشاطا فقهيا حثيثا بفضل جهود فقهائه.

الكلمات المفتاحية لهذا البحث:

- المغرب الأوسط.
- المذهب المالكي.
- الدولة الفاطمية.
- الدولة الحمادية.
- الفقهاء المالكية.